الحركة الأدبية في عهد الملك المؤيد
صاحب حمامة وابنه الأفضل
من 71 - 242ھ / 131 - 342م

إعداد
خضرا أرشود قاسم الجعافرة

إشراف
الدكتور رشدي الحسن

المشرف المساعد
الدكتور سمير الدروبي
الحركة الأدبية في عهد الملك المؤيد
صاحب حماة وابنه الأفضل
من 71 - 1476 هـ / 136 - 1382 م

إعداد
خضرا ارشود قاسم الجمعرة
بكالوريوس لغة عربية، جامعة مؤتة 1989

قدّمت هذه الرسالة استناداً لل политикات درجة الماجستير في جامعة مؤتة تخصص اللغة العربية وآدابها

لجنة المناقشة

1- الدكتور رشدي الحسن (المنشر) / رئيساً
2- الدكتور عبد المجيد المجنبي / عضواً
3- الدكتور حلمي الكيلاني / عضواً

تاريخ تقديم الرسالة: 1995/7/31
تاريخ مناقشة الرسالة: 1995/8/22
الإهداء

إلى روح والدي
إلى أمي رمز العطف والحنان والعطاء
إلى زوجي الذي هيأ لي وسائل البحث والدراسة
إلى كل الذين قدموا لي العون والمساعدة
أقدم هذا العمل „
المقدمة:

موضوع هذه الرسالة، "حركة الأدبية في عهد الملك المؤيد صاحب حماة"، وابنه الأفضل من 707-742 هـ، وهو موضوع يستحق الدراسة لأنه يرتبط بعصر وصف بالإلحاد، والانحدار، والتشهير، ولهذا الفصوص قد يكون فيه شيء من التحليل والتجسي على عصر حفظ تراثًا ضخماً من الكتبيات التاريخية، والأدبية، والجغرافية وغيرها.

هذا زيادة على أن المصادر والمراجع الأدبية أشارت إلى المراكز الثقافية في العصر المملوكي وعُدّت حماة مركزًا مهماً من مراكز الثقافة في ذلك العصر.

تتناول الرسالة الأدب في عهد المؤيد وابنه الأفضل من عام 707-742 هـ، أي أنها تبدأ بتمثيليًّ المؤيد حماة وتهنئي بعزل الأفضل عام 742 هـ.

وموضوع هذه الرسالة - كما يبين عنوانها - يحدد إطارًا مكانيًا و زمنيًا، فحماة هي مكان الدراسة، والنصف الأول من القرن الثامن الهجري هو زمن الدراسة.

وقد سبقت هذه الدراسة دراسات أخرى مشابهة لها في موضوعها مثل حياة الشعر في الكوفة ليوسف خليف، والشعر في حلب في العصر المملوكي لأحمد فوزي الهمب.

وتقطع هذه الدراسة في أربعة فصول، اثنان للشعر، والآخرين للنشر، يسبقها تمهيدًا، تناولت فيه باختصار حماة، جغرافياً من حيث أهمية موقعها في منطقة جعلت عدلاً من الأدباء يفدون إليها. وفي حماة تاريخياً عرست تأريخ الأسرة التقوية فيها إلى عهد المؤيد وابنه الأفضل، وعرفت بشخصية المؤيد وابنه وما يتميزان به من حب الآداب، وإحياء لستة من سبئهم من الأيوبيين في مجالهم الأدبي والعلمي.

أما الفصل الأول فيدرس الشعر دراسة موضوعية في عهد المؤيد وابنه لأن الشعر موجه إلى شخص هذين الملكين وموضوعاته في الده، والرثاء، والغزل، والتهنئة، والإلوانية.
الفصل الثاني يدرس موضوعات الشعر دراسة فنيّة من حيث هيكل القصيدة، والصور الفنية التي جاء بها الشعراء، والأسلوب الشعري، والقوافي، والأوزان، ومدى اهتمامهم بها في الحافزة على التقليد المتبوع نيئة، أو التجديد من خلال الموضوعات والآداب.

الفصل الثالث يعرض بعض الأنواع النثرية في هذه الفترة من رسائل ديوانية، وأدبية، وإخوانية، ومحدثة عن النثر التأليفي، والثور الراقي يُحدث عن السمات الفنية لهذا النثر، وقد أُولِيت الرسائل الديوانية أهمية لتوفيرها لما ساهمت على تحليها وتوسيع خصائصها، والنشأة واضحة بين الشعر والنثر في السمات الفنية خاصة في المهارات البديعية، والتشبيهات إذ أن النثر في هذا العصر زاحم الشعر في مواضيعه كالوصف، والغزل، وغيرهما.

وتعد هذه الدراسة، على مجموعة من المصادر، مثل خزانة الأدب لابن حجة الحموي، وحسن الترسل إلى صناعة الترسل للشهاب محمود، وخيرية الفسرة وجيزة العصر للأصفهاني، ومفرج الكروب في أخبار بني أيوب لابن واسع، وتاريخ ابن الوردي، وتعتبر كذلك على مجموعة من المراجع مثل مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني لبكري أمين، وموسيقى الشعر العربي لإبراهيم أنيس، ودراسة الأيوبي (صفي الدين الطلي)، والأدب العربي من الإنحدار إلى الإزدهار لزوق كريكي، ودراسة سبانو، ملكة حماة الأيوبي، والأدب في العصر المملوكي لحمد زغلول سلام واكما كتاب الدرر الكامنة للمسقلاني، وأعيان العصر للصوفي، وديوان الحلي، وديوان ابن نباتة، وكتاب المختصر لأبي الفداء، ومهرجان أبي الفداء، فكانت من مصادر الرئيسة في هذا البحث.

وهناك دراسات تاريخية وجيوفانية تستعين بها الدراسة مثل مملكة حماة في العهد الأيوبي والمملوكي الأول، ومملكة حماة الأيوبي.

وعند هذه الدراسة محاولة جادة تنتفع من النهج التاريخي أساساً لها، وتستعين بالمنهج الآخر لاستكمال جوانبها المتعددة، وبخاصة النهج الفني.
وقد بذلت في هذا البحث ما أستطيع، وأخذ مني وقتاً طويلاً، ولا أدع أن هذا البحث أعلم بكل جوانب الموضوع، فإن وقفت فالفضل لله في ذلك وإلا فأنا مجهود مقبول لأني لم أقصد من وراء هذا العمل إلا البحث الجاد، وأمل أن يكون هذا الجهود مقبولاً.

ولا يفوتي أن أتقدم بالشكر الجزيل لأستاني الفاضلين الدكتور رشدي الحسن المشرف على هذا البحث، والدكتور سمير الدروبي اللذين لم يبخلا علي بالتوجيه والاهتمام والرعاية.

والله ولي التوفيق...
التهييد
- حماة، تاريخياً، وجغرافياً، وثقافياً
- أبو الفداء وابنه الأفضل
تمهيد:

حماة، إحدى مدن بلاد الشام العربية، التي شهدت خلال تاريخها الطويل، عدداً من الحضارات.

فقد عُرفت حماة منذ أكثر من 5 آلاف سنة قبل الميلاد، وتشير المصادر التاريخية إلى شعوب عدد من الحضارات على حكم حماة، نحو: السومريين، والأكاديين، والفرثيين، والأشوريين، والحنيين، والرومان وغيرهم(1).

فتح العرب حماة في السنة السابعة عشرة للهجرة على يد أبي عبيدة، وحظي الشام بأهمية الخلافة الأموية، وبخاصة دمشق عاصمة الأمويين، وبعد إنشاء الخلافة إلى العباسيين سنة 132 هـ، ونقل العاصمة من دمشق إلى بغداد، أصبحت الشام (دمشق وحماة وغيرها) بعيدة عن نظر الخلفاء، فكان اهتمامهم بهاقل، إذ يحكمها العمال بحسب أهوائهم فانحلت شأنها (2). وشاركت حماة حمص في الفتن والحروب الأهلية التي حدثت بين القبائل العربية، في القرن الثاني الهجري وبداية الثالث (3).

وفي أواخر العصر العباسي خضعت حماة مع مدن الشام لأحمد بن طولون، ثم حكمها الإخشيديون، ثم سيف الدولة الحمداني، وبعد ذلك أصبحت تحت حكم صالح بن مرادس الكلابي صاحب حلب، ثم حكمها عمه القدح زنكي (4)، فصلاح الدين الأيوبي.

وتولى حكمها بعد ذلك أفراد الأسرة النفوذية، وأولهم تقي الدين عمر الذي حكمها من 457 هـ - 588 هـ، ومن بعده محمد بن تقي الدين عمر من 588 هـ - 617 هـ، ثم الملك الناصر قليوب أرسلان من 617 هـ - 629 هـ، وجاء بعده الملك النظفر الثاني تقي الدين محمد رزق: مصر سلطان غزالة وبنيه العلمي والأدب، مكتبة الأدب، المطبعة الإندونزية، ج3، ص243.

(1) سهيل زكرى: مقال (أبو الغد، والبنيت)، مهجرين إلى الفضاء، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والأدب والعلوم الاجتماعية، الجمهورية العربية السورية، ص41.

(2) المصدر نفسه، ص41.

(3) ابن بايث، جمال الدين محمد (ت997): معركة الكروب في أخبار أبي بكر، تحقيق جمال الدين الشبك، ص21، ص41.
محمود من 1422هـ إلى 1900م

وقد تبع هذا الحكم التقوي، فترة انقطاع لحكم العائلة النفوذية في حماة، بسبب وفاة المظفر محمود المفاجئة، ولم يوص بالمملكة بعده لأحد، كما أن الملك الناصر محمد كان يريد أن يتخلى عن الأسراء والعماليك بإبعادهم عن مصر بتعيينهم في مراكز بعيدة عن مصر، وذلك أرسل أحد هؤلاء إلى حماة (1)، وقد استمرت هذه الفترة من

1901م - 1922م

وفي سنة 1922م وبعده على ما وعد به السلطان الناصر محمد بن قلاوون مهنا ابن عيسى بتوحيد الملك المؤيد على حماة، فقد صدر تقليل بتوحيد الملك المؤيد حماة على قاعدة الثواب وذلك بعد خروج حماة من البيت النفوذي مدة إحدى عشرة سنة (2).

ويعد الملك المؤيد من 1922م - 1942م وتكدّت تكون هذه الفترة هي العهد الذهبي لمحاكمة حماة من جميع النواحي، كما تغيّرت بالإرتباط الشديد، والعلاقات الوطيدة، بين حاكمها والعاهل السلطان محمد بن قلاوون الذي يخطب بلغة (آخي) (3).

وقد أعطى حماة للملك الأكثر مؤيد محمد، وهو ابن المؤيد، حيث حكمها من 1942م - 1972م وكان عهده في بداية سائراً على ما خطر والده من علاقات وثيقة مع السلطان محمد، لكنه اضطرت نتيجة للترويج الذي لقبه الأفضل تارة من السلطان وأخرى من أمراء العائلة، وبعد الملك الأفضل خضعت حماة لبعض الأمراء العائلة، وبعدها الأفضل خرجت حماة من حكم الأسرة النفوذية التي كان أخيراً الأفضل.

أما من الناحية الجغرافية، فإن حماة ذات موقع استراتيجي لأنها تقع على طريق بادية الشام، وتشكل موقع احتكاك بين البردية والحضر، وهي في منطقة منخفضة من وادي العايس جنوب حلب، حيث تشكّل ابتداء المنخفض السوري الإفريقي، الذي يبدأ من حماة ويتدع عبر حوض العاصي إلى جبال لبنان الشرقية، وهذا المنخفض كان له

أحمد فضان سباعي: ملكة حماة العربية. دار الكتاب الحديث، مصر، 1971م، ج.1، ص.298.

(1) الترجمة من الكاتب، والرسالة 1922م.
(2) الترجمة من الكاتب، الرسالة 1942م.
(3) الترجمة من الكاتب، الرسالة 1972م.
دوره في تاريخ حماة. فقد جاء حماة معظم الغزاة من الجنوب(8). ويحيط بها من
الجنوب والشمال والغرب جبال عانية، وسعاد إحاطة حماة ببعض المراكز الحصينة
مثل "مصير"، و"كرطراب"، و"بوارين"، و"وصياف"، ومزور نهر العاصي بها وسقائه.

لسهولها (9) في أن تكون موطن سراغ يحاول الجميع الاستيلاء عليها.
وتؤكد بعض المصادر ذلك، فيشير ياقوت الحموي إلى أهمية حماة الكبيرة من
حيث حصانتها وانتشارها وكثرة خيراتها؛ فوصفها بقوله: "حماية مدينة كبيرة عظيمة,
كثيرة الخيرات، رحيبة الأشعار، واسعة الرقعة، يحيط بها سور محكم، وفي ظرف
الدولة قلعة عظيمة ومحببة، في حصانها وإنفاق عمارتها وحفر خندقها نحو ماهة
دراغ"(10).

ومن الناحية الثقافية، ساهمت مخالفة من الأعمال في جعل حماة مركزاً
thقافياً متميزاً منها، الهجوم المنزلي على بنداد، وهجرة علمائها إلى حواضر الشام,
والاضطراب السياسي في بلاد المغرب، واحتلال الصليبيين معرة النعمان وغيرها من
مدن الشام، وزلزال مصير المدرم. كل هذه العوامل جعلت العلماء يقصدون حماة
ويقيمون فيها وهذه جميعها كانت مبتكاً لحكم المؤيد في حماة(11).

وشعّج هذا كلهم اهتمام ملوك حماة بالعلم والعلماء، وهم كلمهم أدباء أو شعراء، أو
من محبّي الأدب والشعراء والعلماء، فحماة الأول تقي الدين عمر بن شاهنشاه كان
شاعراً مرجعاً، وابن المنصور الأول محمد صنّف عدة مصنفات منها مضمار الحقائق،

(8) أحمد زكريا: جذوة العربي في بعض البلدان الشريفة. دور الفكر، سوريا، 1984، ص 27.
(9) مصري: شهاب الدين، ياقوت الحموي. دور الفكر، سوريا، 1984، ص 27.
(10) بارون: مدينة، تقع بين حلب، وحماة من جهة الغرب، (ايقوت، معجم البلدان، ج 1، ص 24).
(11) مصري: مصمار شهاب الدين. (ايقوت، معجم البلدان، ج 1، ص 16).
(12) أحمد زكريا: عصرání، مكة، دار الفكر، 1984، ص 27.
(13) المحامي، شهاب الدين، ياقوت الحموي. دور الفكر، سوريا، 1984، ج 2، ص 26.
وكان محبًا للعلم والعلماء، والملك المظفر محمود ابن الملك المنصور كان يحب أهل العلم.

ويستهدف(1)

وإصابة حماة بذلك منذ أن تولى حكمها الأيوبيون مكاناً يُغذي الأدباء والعلماء بالسفر إليها من كافة أنحاء البلاد.

وفي عهد المؤيد وابنه كان العصر الذهبي للثقافة في حماة، فألّف المؤيد أدبيًّا ومؤرخًا، وفرصه، وهو إلى جانب ذلك كان يشجع العلماء، ويحب أهل العلم والأدب، فيقوم بهم إليه، وأصبحت حماة في عهده محجّةً للعلماء يقبلون عليها من كل مكان.

واستمر هذا في عهد الأفضل ابن الملك المؤيد.

وعرنت حماة بمكتباتها العامة ومساجدها ومدارسها، وكانت المدارس التي وجدت فيها منذ العصر الأيوبي في أغلبها تؤمن الإقامة والدوام والطعام لطلابها، ويتبع المدرسة مكتبة ضخمة في كثير من هذه المدارس ومن هذه المدارس: المدرسة الخاتونية، والمدرسة الخصوصية، والثورية الكبرى(2).

ويرتبط هذا الاهتمام الرسمي من قبل الحكام، اهتمام خاص بالكتب، فهناك المكتبات الخاصة التي اشتهى منها مكتبة أبي الجفاه الذي كانت في مسجد

وتحتوي على سبعة آلاف كتاب وفقها للقراءة، ومكتبة قاضي حماة ابن البارزي الذي أصبح له من الكتب ما لم يجتمع لأهل مصر، ويفضل شنها يعامة ألف درهم(3).
أبو الفداء، هو إسماعيل بن الملك الأفضل علي، وُلدَ هو الملك المظفر تقي الدين محمود، حكم من سنة 1269 هـ إلى وفاته سنة 1242 هـ، ابن الملك المنصور الأول محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه، وشاهنشاه هو شقيق صلاح الدين(18). وكانت ولادته في جمادى الأولى من سنة 732 هـ بدمشق بعد أن رحل أهله إليها من حماة بسبب غزو المغول. نشأت شاهنشاه ناشئة جيدة، فهُو من أسرة حاكمة ومشغولة، فيها عدة من الشعراء والأدباء. وشارك مبكراً في الحياة العسكرية والسياسية في حماة، وأشار إلى هذه المشاركات في كتابه «المختصر في أخبار البشر»، فذكر فتح حمص المربق عام 1485 هـ وفتح طرابلس عام 188 هـ، وفتى مكا عام 190 هـ(19).

ويعد فتح مكا عام 190 هـ رحلة طويلة ومهمة، حيث ساهم في تقدم علم الفقه والتصوف والأدب. وقاد نشاطه في قضايا تطوير العلم في الأراضي الجغرافية. وحفظ القرآن الكريم، وقرأ كتبه عدة، واتسمت ثقافة المؤيد بالعُلمانية، فشملت متنوعة عديدة، حيث أجمع المصنعين على أنه كان جزأً عالماً جامعًا لأشنات العلوم، أعجوبة عن عيان الدنيا، ماهراً في الفقه والتصوف والأصول والتحو وعلم النقش والفلسفة والمثل والطبي والمرض والتاريخ. شاعراً ماهراً صنفاً في كل علم تدريفاً نفياً أو تصانيفاً، وكان معتنقاً بعلوم الأوائل اعتناً كبيراً(20).

ومن مؤلفات شخصيته الأساسية، أخلاقه الحميدة التي جعلت اهل حماة يحبونه لعله وبعده عن الشره وحب المال، فقد كان رجل ثقافة وعلم أكثر منه رجل سياسة. ولعل هذه الأخلاء ارتبطت بالأوهج العقلية لأبي الفداء التي اكتسبها من ممارسته للعلم مما جعله يحيط نفسه بعدد من العلماء والأدباء يشجعون ويعينهم؛ ويقول ابن

(18) انصفاني: الدور الكاملة ج 1، ص 269
(19) أبو الفداء - المختصر، ج 28، وا بعدها
(20) الأسطوري: جمل الدين محمد الربيع، د 733 هـ، مابعد حالة، تطهير مهبلاته الحيوية، بغداد، مطبعة الأزهر، ط 1، ص 109
وردي في هذا: "ولقد رأيت جماعة من ذوي الفضل يزعمون أنَّه ليس في الملوك بعد الأمون في حمأة ملكًا أفضل منه رحمه الله" (۱۸).

"وقد ظلّ في حمأة مكثًا على التصنيف، وحمأة موصف رجال أهل العلم من كل مكان، وأصبحت في عهده قبيلة العلماء والشعراء (۱۹)، بل إن بعض البابايشين يرى أنه لم يكن للملوك في العصر洋كي شعراء مجريون إلا في حمأة: حيث بقيت عادة استقبال الشعراء وتشجيعهم زمنًا طويلاً (۲۰)، وحضر إليه العديد منهم، وبعضهم أقام عندن في حمأة، ومنه وقد عليه عماد الدين الأنصاري، إذ أعجب به ورَثَ له روابط تكنية وولاية مدارس (۲۱)، وانقطع إليه أمين الدين الأيوبي فأجبره له ما يكفيه (۲۲).

ولعل أشهر شعراء عصره الذين انقطعوا إليه ابن نيينة المصري، أمير شعراء الشرق، وفيه فهي ابنه الأفضل قصائد مدرج كثيرًا (۲۳)، وله العديد من المؤلفات كتبها للملك المؤيد منها: مطلع الغوامد ومجمع الغرامات، الفاضل من إنشاء الفاضل. رسالة السيف والقلم، سجع المطلاق وديوان شعر في مدرج المؤيد وابنه، وراقه الصفي الحلي الذي أكثر من القصائد في هذا الملك وابنه.

ووفد إلى حمأة بنو الأبرز ومنهم: محمد بن عبد الراحم بن إبراهيم البازري، وهمية الله البازري، ومن مؤلفاته، شرح سقط الزند، وشرح نظم الحاوي، ورفد إلى

۱۸) أبو لdana، المكتبة، ج، ص۲۰۱. ۱۹) ابن تغييري، وصف جمال الدين (۲۷۸۹هـ)، العنف السخاني والمستوري بعد الواقي، تحقيق محمد محمد أمين، النهضة المصرية للطباعة، ۱۸۸۴، ج، ص۲۰۱. ۲۰) مارون ميود: أم العرب، مقار النجوم، بيروت، لبنان، ۱۸۷۲، ص۲۳۷. ۲۱) الأسدري: طبقات الأشقاء، ج، ص۲۰۱. ۲۲) الامام الشافعي: الادعاء الكمال، ج، ص۲۸۹. (في الدين الأيوبي: أمين الدين عماد الدين الدين الشافعي، كان له معرفة ببابياجي، والFOUND، وممارسة في فنون، أقام عند المؤيد وعندما مات المؤيد رحل إلى حلب، مات ۲۳) ج، ص۲۰۱. (النحاة، ج، ص۲۰۱.) ۲۴) محمد، ورق ومسلم: منصور سليمان العبادي، ج، ص۲۰۱. ۲۵) محمد بن إبراهيم، محمد بن عبد الراحم، وأخذ العلم من البازري، كان مُحكماً بالعاني والبيان، اختصر المصباح في العلم، وُبِب، على الصباح وشرح (النحاة، ج، ص۲۰۱.) ۲۶) ابن الحميدي، محمد بن بكتور، كان كاتباً على ملك المؤيد (۱۷۵۸هـ)، (الدور الكمال، ج، ص۲۰۱).
حمامة أيضاً، محمد بن قاضي بارين، وكان عارفاً بالحاوي الصغير، وأبن النحويه، وموسى بن بصيص الجواد الكاتب، والقرفي القيومي صاحب المصباح المنير(14). وقد اهتم المؤيد في كتابه الخصص بالعلوم والأدب، ومؤلفاتهم مما يعكس

اهتمامه بالعلم والأدب بل إنه "فرق كتبه على المهتمين بها من الذين يقدرهم"(15).

ويشير صاحب الدرر الكامنة إلى إقبال الشعراء على المؤيد يقوله: "ولا أعرف في أحد من الملك من الدلائل ما لابن نباتة والشهاب مجموع وغيرهما في إلا سيف الدولة وقد مدح الناس غيرهما من الملك ولكن اجتمع لهذين من الكثرة والإجادة من الفصول ما لم يتفق لغيرهما"(16).

أما مؤلفات أبي الغداء، فقد تعدت، زيادة على شعره الذي لم يصل إليها كله، وأول كتابه هو "الخصص في أخبار البشر"، وهو كتاب في التاريخ العام يقع في أربعة أجزاء، تناول فيه ما قبل الإسلام، وتاريخ الإسلام إلى عام 679 هـ، ويسرد حوادث كل عام على حدة، مع ذكر ما يتعلق بهذا العام، وقد اهتم بشكل خاص بحوادث مصر والدول المعاصرة، وتكنن أهمية الكتاب في ذكره الفترة الخاصة بحياة المؤلف والأحداث التي عاصرها. وقد وصفه حاجي خليفة يقوله: "وهو من الكتب التي لا يقع مثلها ولا يسمع الإنسان جهله فإنه اختاره من الشواميخ التي لا تقع إلا للملوك"(17).

والكتاب الآخر في الجغرافيا اسمه "تقديم البلدان"، وقد اتم مسودته عام 679 هـ وظل يزيد عليه حتى وفاته، وقد أخذ ماته من عدد كبير من المؤلفات القديمة في الجغرافيا، ولكنه أضاف إليه عدداً من المعلومات الجديدة عن البلدان غير الإسلامية مما

(14) موسى بن بصيص، كاتب، مجود، كتب: الفظ النصروب، احترع قلماً، المعز، (ت 616 هـ)، (الدرر: ج 1) (168).
(15) الفقيه: أحمد بن محمد بن علي القيومي ثم صري، استناداً بكتابه الصباح النور، رхи إلى خاطر، ويا
بني الملك الألوه جامع الدمشق فرع في خطابه (ال **)&quot;، ج، (1 مري 242).
(16) عبدالرحمن خليفة: مقال، (ابن الديناء)، مهراج ابن أبي الغداء، س. 16.
(17) المصفاري: الدور الكاسحة، ج، (1 مري 239).
(18) حاجي خليفة، مسلم بن ميتك، (ت 616 هـ)، كشف التوافر من أساسي الكتب، والغوند، (دار الفكر)، ج، 1.
(19) من 1629.
يكتشف لنا عن قدرته في التأليف (١٨) وله أيضا نظماً حاوياً صغيراً للقوزوفيني في
نحو الفقه الشافعي الذي شرحه شرف الدين هبة الله البارزى، وشرح الكافاني في
النحو لابن الحاجب (١٩) ومن كتبه "الكتاب" وهو كتاب اختالف الآراء حوله فبعضهم
ذكره على أنه كتاب طب، ورأى آخر يذكره ككتاب في النحو والتصريف وغير
ذلك (٢٠). وله أيضاً "مختصر النظائر السنية في التواريخ الإسلامية" وله "النبر
السبيلى في تواريخ الملوك" وكتاب العروض والأحوال، والموازين في الفلك، ونورادر
العلوم وغيرها من الكتب (٢١).

وإلى جانب هذا التوجه العلمي، فقد عُني المؤيد عناية خاصة ببناء المدارس
والمساجد والمعاهد العلمية في حماة مثل: "الروشن في الجامع الدولي" وهو معهد
علمى و"المدرسة المؤيدة" و"جامع الدهشة" (٢٢).

وقد كانت علاقة المؤيد بالملك الناصر قوية، حيث كان المؤيد مخلصاً له ومحتفلاً
على ولائه. وقد سار في هذا على منهج من سبقه من أفراد الأسرة النفوذية الذين
اتسعوا علاقتهم بالملك الناصر والناصر محمد بن محمد بن الحاجة والمراعفة من كلا
الجانبين وهذه الصلة ساعدت في أن يحظى فلوك حماة، بمملكة أوروبية أكثر من مائة
سنة بعد زوال ملوك الأيوبيين من سوريا ومصر (٢٣) واستطاع المؤيد على الرغم من
المؤامرات والشكاوى التي قام بها أسرة المماليك، أن يحكم حماة مدة أثني عشرة
كريفويسكي، أثنايوس: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نظرة نصار الدين عثمان، دار
اللغة الإسلامية، بيروت، ١٩٨٢، ص. ٢١١.
(٢٦) هاجي خليل: "كتفي النورات"، ج. ص. ١٣٧١.
(٢٧) كمال ميقات: "المؤرخ أبو الن تعال: رمزية العلمية"، مهجرين أنغلاف، ص. ٧٢.
(٢٨) أبديز: "الدين في الإسلام"، دار العلم للمعرفة، بيروت، ١٩٩٢، ص. ٦١، ص. ١٦٢.
(٢٩) توريناثس: "أبو الن تعال: ملك ملك، مهجرين أنغلاف، ص. ٧٢.
(٣٠) محمد مصطفى، "الواقع السياسي والإداري للأمم المليوش"، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٨، ص. ٤، وما بعدها.
(٣١) أبو الن تعال: "النبوة"، م، ص. ٥٤، وما بعده، ميدان، تقيم بين الجغرافين، وسلطان، وبيانها من اليوم في ذلك.
عامةً،
وكم شارك المؤيد في الحياة العلمية والسياسية، فقد ساهم في الحياة العسكرية منذ أن كان صغيراً، فشارك في الإفارة على بلاد سيس، وقتال القهر عندما دخلوا الشام، وتحرير العسكات إلى حلب(1). وكان وفاة الملك المؤيد في حماة عام 1763 هـ.
أما آخر ملوك حماة (الأندلس) فقد حرص المؤيد على أن يصحب معه عندما كان يزور مصراً في بعض المرات وذلك تمييزاً منه لتعرف الملك الناصر به(2).
ولد الملك الأفضل محمد بن إسماعيل في مستهل رجب سنة 1762 هـ، ولم تذكر المصادر شيئاً عن نشأته، ولكنها تطرّقت لبعض صفاته، ومنها: أنه كان جواداً إلا أنه لم يكن محظوظاً في جوته وكان سليم الباطن وكثير التناوب مع من يخاطبه(3).
وبعد وفاة والده، قدم إلى مصر وأقبل على السلطان الناصر في مصر بعد وساطة قائست بها أمه عند تنكر نائب الشام، من أجل تنصيب محمد في حكم حماة.
فوافق الملك الناصر على ذلك(4).
أما ثقافته فهي تشير إليها الصفدي، حيث يذكر أنه هو في حماة تولّى نظر المدرسة التحوريه بدمشق نيابة عنه. ويذكر أنه تزّد إليه وسمع كلامه غير مرة وما كان يخلو من استشهاد على ما يقوله بشعر مطبوع أو مطلاع مشهور(5).
وقد سار على منهج والده من حيث الوالد للسلطة والمساهمة العسكرية في أبو القادة الحسن جز. 4 (1786 هـ)، Repeat تعبير، تطوير، واسكنها من الروم في ذلك الوقت، (ياقوت، معجم البلدان. ج. 2 ص472). 
المصدر نفسه. ص. 96.
الصفدي، خليل بن أبيك (1784 هـ): أميان النصر وأعوان النصر، مكتبات عهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية. فاراكاريف، النابلي، يصدره فرائد سركان، نسخة مخطوطة مسورة من مجموعة عاطف المتخلي، مكتبة السليمانية، استانبول، مطبعة شتاروس. ج. 1 ص. 444.
المغربي، أحمد بن علي (1785 هـ): السلاطين لمعرفة دول الشمال، تصحيح محمد مصطفى زيادة. المجلد 2، الجزء الأول، المجلد 2 ص. 444 (مخطوطة).
الصفدي: أميان النصر وأعوان النصر. ج. 1، ص. 444 (مخطوطة).
المتجهات. وكانت حياة لا تخلو من الاضطراب، إلا أن المصادر أنّها زال في حمامة مروعًا. فِدَة حياة تارة من جهة السلطان، وأخرى من جهة العربان يأخذون من إقطاعاته، وتارة من جهة أقاربه يسكن عليه، بل إنه تنسك في بعض الأوقات، ورغم سماع الشعر، ومنع من الإنشاء فيه والإنشاد، ثم يعود وتنقلب حالته هذه إلى بعض القسوة في الحكم، وعندما توفي يترك من الدين فوق الألف درهم (١).

وفى على بلاط شعراء مثل: ابن نباتة، الصفي الحلي، ونادمه كثيرًا الشاعر المصري محمد بن طروطور، ومدنه الشهاب الحايمي أيضا، وكانت وفاته عام ٧٤٢هـ.

(٢٦) الصفي: أميان العصر، ج1، ص٤٤ وما بعده.
محمد بن طروطور، شمس الدين أبو عبد الله المصري، تقدم عند الملك الأفضل وكان له منه راتب (٨٧١هـ) (الدرر الكاملة، ج4، ص٦٢).
الشهاب الحايمي، أحمد بن محمد الحايمي، المعروف بابن الحايمي المصري، مدر الملك الأفضل بقصيدة طويلة، وله نظم ونشر ومشاركة في نون (٣٧٨٢هـ) (ابن تغري يحيى، المفصل المباني، ج2، ص٨٨).
الفصل الأول

الشعر في عهد الملك المؤيد وابنه الأفضل

من (717 - 237هـ)

دراسة موضوعية

1- المدد

ب- الوثاء

ج- الفعل

د- التهنئة

ه- الوصف

أ- الإخوانيات

ب- الطرديات
الفصل الأول

الشعر في مملكة الموتى وابنه الأفضل
من 710 - 743 هـ

اهتم الأيوبيون بالآداب كثيراً، ويشهد بذلك لهم كثرة مجالسهم الأدبية والعلمية;
فاكتسبوا بذلك ملكة أدبية، ويؤكد لنا هذا صاحب الخريدة بقوله: "وما في بني أيوب
من استغل بالآداب، أو قرأ شيئاً من كلام العرب، لكنهم لجائزة الأدباء، ومذاكر
العلماء، ومكاثرة الحكمة، علماً فعملوا، وأقبلوا وقبلوا (1).
وقد استمر منهم عدد
من الشعراء مثل: تاج الملك بوري بن أيوب الذي كان شاعراً له ديوان شعر، وفرخ
شاه بن شاهنشاه، كان شاعراً وشعره مكتوب ومحفوظ. ومن شعره:
إذا شيت أن تُعْطي الأمور حقوقها
وتوقع حكم العدل أحسن مؤسفة
فل تصنع المعروض مع غير أهله
فظل لما وضعت الشيء في غير موضعها (2)
ومنهم أيضاً، الأفضل بن صلاح الدين، والملك المعظم عيسى الذي كان يحب الفقهاء
ويحرصهم على الاستغلال و يقول: "من حفظ الجامع الكبير أعطيته مائة دينار (3).
ولم يقل ملك حماة عن سابقيهم في الأدب والعلم، فالمشرف تقي الدين عمر
المتوفي عام 587 هـ كان أديباً شاعراً (4)، وابنه الملك المتصور محمد كان عالماً أيضاً;
يحب العلماء، وله مصنفات مثل: المضرع في التاريخ، وطبقات الشعراء، وعندما ما
يقرب من مئتي عالم من النحاة والفقهاء (5).

(1) المصدر نفسه، ص 37. وما بعد.
(2) المصدر نفسه، ص 38.
(3) المصدر نفسه، ص 39.
(4) المصدر نفسه، ص 39.
(5) المصدر نفسه، ص 39.
(6) المصدر نفسه، ص 39.
(7) المصدر نفسه، ص 39.
وأبو الغدّاء هو أحد أفراد هذه الأسرة التي اشتهرت بحب الشعر ونظمه وتكريمه
الشعراء، لهذا فقد سار على طريق من سبقه في حبّ العلم والعلماء والاهتمام بهم،
كما أنه يحيط نفسه بهم، وهو بهذا يعيدنا إلى عصور العرب السابقة الذين اهتموا
بالأدب،(١) مثل سيف الدولة الحمداني، وأسامة بن منفج وغيرهم.

وقد كان للمؤيد الكثير من هذه الجالس العلمية والأدبية، فقد اجتمع عنده في
أحد مجالسه، الأسنوبي صاحب طبقات الشافعية، والطبيبان ابن البرهان، وابن
القويع وهم مشهوران، فتكلموا في عدد من العلوم أظهر فيها المؤيد مهارته، وتكلَّم
أيضاً في الطب وذكر صفات بعض النباتات وفوائدها مما جعل الطبيبان المذكوران
يشعبيَّان حتى أن ابن القويع قال: «ما أعلم ملكاً من ملوك المسلمين وصل إلى هذا
العلم»(٢).

والجلس الآخر للمؤيد ذكره صاحب الخزانة جمع بين الصوفي الحلي وابن
تبيلة، وعلاء الدين بن مقاتل الزُّجاج الحموي، وقال ابن مقاتل في هذا الجلس زجلاً
مشهور(٣).

وقد يدلى على اهتمام المؤيد بالعلم والأدب، كثرة الوافدين عليه في حماة وندكر
منهم: هبة الله البازري صاحب المؤلفات الكثيرة، ومن كتبه شرح الشاطبية،
والشرعية في السبعة، وعمرو بن العديم قاضي حماة، وهو شاعر أيضاً، وعلاء الدين بن
غامش الشاعر الذي أقام عنه فترة طويلة، وأمين الدين الأبري الذي كان له معرفة

(١) محمود رزق سليم: مصر سلاطين العثمانية، الطبعة الثانية، القاهرة، ط. ٢٢، ج. ٢، ص. ٢٤٥.
(٢) الأسنوبي: طبقات الشافعية، ج. ١، ص. ٤٥٦؛ ابن القويع: أبو عبيد الله ميدان بن يوسف، تونسي الأصل،
سماح الحديث ودرس النحو، كان بارعاً في علم عدة (٢٨١٤هـ) (الدنور، ج. ٣، ص. ٢٩٤). ابن البرهان: محمد
ابن إبراهيم بن عبد الله، مهر في الكلم وعلم العيون وشارك في المكثمة والنجوم (٢٨٤٧هـ) (الدنور، ج. ٣،
ص. ٢٧٦).
(٣) ابن حجة الحموي، تقي الدين أحمد (ت١٣٧٧هـ): خزانة الأدب، شرح عصام شريف، دار مكتبة البهلوان، بيروت,
ط. ١٩٨٧، ج. ١، ص. ٤٣، علئ بن مقاتل: الشاعر الحموي الأزهار، ولد ١١٤٤هـ توفي بتنظيم الأزهار، ودبيتاه في
مجلدين (١٣٧٦٥)، (أعيان المركز، ج. ١، ص. ٢٤٢).
بالطبيعات، وأسد الحكم اليهودي، واشتهر بالجراحة والطب، وقد أوصى له المؤيد ببعض كتبه عند وفاته. وأمين الدين بن قرناس وهو فقيه وعالم بالعربية، وقد حزين المؤيد لأنه لم يحضر جنازته عند موتته، وعمر بن خضر بن زادة صاحب الكنز المطلوب في الدواوين، ويوسف بن حماد الحموي مفتي حماة وخطيبها، الأديب الشاعر، ومحمد بن بكتوت الكاتب الجبري، وقد أقام عند الملك المؤيد يكتب له، فقد عرف بجودة كتابته، وعماد الدين الأرنوي الذي حضر عند المؤيد وبعد مسه في عدة علوم، والخطيب الفيزيو صاحب المصباح المثير، حيث عينه المؤيد خطيباً لجامع الدفنة، وله ديوان خطيب في جزائري، وتبعت الأفضل والده في الاهتمام بالأدباء والعلماء، فضل بلاطه الشهاب الحاجبي الشاعر، وأبان طرطوس، كما أنه تلمذ على عمر بن الشحنة الزاهد المشهور في زمانه.

وقد كان لاهتمام المؤيد وابنه بالأدب، ووقود الأدباء والعلماء إلى حماة، درر في أن تكون على رأس المراكز الأدبية في بلاد الشام، وتصبح مؤثرة للعلماء، وهذا جعل بعض الباحثين يشتم أنه لم يكن للملوك في هذا العصر شعراء مجددون إلا في حماة، حيث بقيت هذه العادة رداً من الزمن، ولها لم يكن الشعر فيها صناعة لفظية.

تنوعت موضوعات الشعر في عهد المؤيد وأبنته، فكان الدج، والرثاء، والتهنئة، والوصف وغيرها.

(1) أسد الحكم اليهودي كان مقرباً للملك المؤيد، له مشاركات في عدة علوم مثل الهيئة والطبيعي، وهو جراح ماهر، توفي بعد 727 ه (أعيان العصر، ج 1، ص 157).

(2) أمين الدين بن قرناس: هبة الله ابن محمود، الشيخ الإمام الراحل العالم العقوم أمين الدين ابن قرناس الخرازي الحموي الشافعي، اشتغل بالفقه وحدث بهما ولاب أحمد ودمشق، وكان مدرساً ببيعة فشرا التدريس وصاحب الفقهاء، ولد 682 ه وتوفي 727 ه (أعيان العصر، ج 2، ص 32).

(3) عمر بن خضر بن زادة: جمال الدين أبو سعيد الكردي الفضلي، ولد 1716 ه واجتهد حتى فات في الغناء، وأناشده ملكون وملوك ماردين، ثم صاحب حماة، توفي 678 ه (الدور، ج 3، ص 32).

(4) مارون عونود: أدب العرب، ص 37.
1- شعر الدح:
والمدح أكثر الموضوعات انتشارًا في جاهة؛ حتى أن جُلّ ديوان ابن نباتة كان في مدرح المؤيد وأبنه الأفضل. وصفات المدح التي أوردها الشعراء في مدانهم هي صفات مروية من القيم العربية والمثل الإسلامية، وأبرزها: الكرم، والعدل، وطاعة الله، والجهاد في سبيله، وتشجيع العلم والأدب، والضجة والإبداع، وغير ذلك.
وربزت صفة الكرم والضحاء لدى المدح؛ فهو كالبحر من كثرة عطائه، والسحب لا تجريه في هذا العطاء، على نحو ما نرى في قول الحلي:

ملك لَو أن البحار تُشيَّبُـتُـ
لاصبح البحر بناءً سَفْتَـةَـ (10)

وقوله:
السَّحْبُ، إذا ما سُخِّت تَجْوَـبُ، تُبْكَـي
بالماء وتسخو وآنت تضحك بالمال (11)

ويعزج الشاعر معاني المدح بالعشق على نحو ما نرى في قوله يدعو محبوبه إلى تعلم الجود والكرم من الملك الأفضل:

بَجَلَتْ وقد حُرَّت مَلْكٌ الجمال
من راحة الملك الأفضل
فَبَلْ يَعْلَى نُفْضُ السَّمَاع
تصاغر قدَرُ الحبا السبَيل (12)

ووهذا الملك الكريم على الرغم من كرمه إلا أنه يجد هذا العطاء قليلًا. يقول الحلي:

إِنَّ أَمْ رَبْعًا من وفودك قاصِدُ
أَمْسَت بيوت المال منك مُطْلَعًا
عُدْراً فَكَنْت السائل المُسْؤولاً
فَجُد اليسير من الدائين مُفرطاً (13)

ووهذا الملك يُحيي دائماً معاني الكرم في النفوس على نحو ما نرى في قول ابن نباتة:

(10) المصدر نفسه، ص. 218.
(11) المصدر نفسه، ص. 227.
(12) المصدر نفسه، ص. 227.
(13) المصدر نفسه، ص. 227.
فقد أعاد بكرمه للناس أحاديث الكرم والجود التي كانوا أن ينسوها.

ملك حافظ المناقب شرعي راحة عن واصلاً عن علماء
ملك أنهى الشنا في زمان
وفي قوله:

هاجر حرف (٢) إذا سئل الجو
ذلك كهجران واقل للمسرة (١٤)
فهذا الملك لا يقول لن يطلبله لا، ويؤكد الشاعر ذلك بمثال عن عدم نطق الخطيب المشهور واصلاً بن طاء للواء وكذلك المدأ هو لا يمنع من يطلبلمعروفًا. وجود الأفضل أنسى الناس جدًا من سبقة من الملوك الكرم، يقول ابن نباتة:

له فضل محمد ماذا علسي
اقلامًا تمل علاه وتكتشب
ذهبت بنو شادي الملوك وأقبلت
أيامه فكانهم لم يذهبوا (١٥)

ولعل رسوم صورة الكرم بالباء الجاري من الصور الطريفة على نحو ما نرى في قوله:

فلا تفتقرب من نيل مصر صابع
فنا النيل إلا من يمينه أصبع (١٦)

وتوفي هذا الملك على حاتم الطاغي في كرمه بإجابة لعادته الكرم، يقول الشهاب محمود في المؤيد:

جدة بالعود عهود العباد
وإن يطلب عهد الأراء والحياء
من حاتم يوم القرى والثنايا (١٧)

وقد أظهر المؤيد وابنه اهتمامًا خاصًا بالعلم والأدب، وهذا ليس غريبًا، في أسرة البيت الشرقي، يقول ابن نباتة:

إن دبرت أفهات أورى مسالك مثت

ابن نباتة محمد بن محمد المصري (١٨٧٨م) ; الديوان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، من:

(١٤) رد
(١٥) رد
(١٦) رد
(١٧) رد
سجية في بني أوب قد فقنت
وأليس الكرم وحده هو الصفة التي ذكرها الشعراء، بل أضافوا إليها صفات جديدة، منها أنه دائم التفكير في العلوم وفنونها ومسائلها، كما في قول ابن نباتة:

مصرف الفكر في حب العلم فما يشفى يسعدي ولا يروى بطمئناء

وقلم المؤيد إما سيف بقاتل به الأعداء أو يراعي يشري به العلم بفكره وإبداعه، كما في قوله:

إما باسرار نضور أو بسمرة

وقوله:

ألفت بأشوب الديوان والقرن

للجود والعِلم أقام براجحته

تجري المقاصد منها تحت مكتوب

وقوله:

في كف حمر أقالم وببض عظا

ويْخَذ هذا الملك من علومه وسيلة للحفاظ على الدين وتأييد الحق، كما في قول ابن نباتة:

الذين في حفظ الأفق بالشِّهاب

وقوله:

لم يكف أن جلَّل الخَلوط عن الوري

حتى جلا بعلومه ظلاماتها

ابن نباتة: الديوان، ص 89.

المصدر نفسه، ص 91.

المصدر نفسه، ص 92.

المصدر نفسه، ص 93.

المصدر نفسه، ص 96.

المصدر نفسه، ص 97.

المصدر نفسه، ص 98.
ولعل قيمة هذا الجهد والعطاء تلك المؤلفات التي كتبها الملك المؤيد، على نحو ما ذرأ
في قول ابن نباتة:

ولعل بتصانيف بدَّت نفقت
والمؤيد معلم له طلابه الذين يستفيدون من علمه ومعرفته، على نحو ما يرى ابن
نباتة:

له در العلم قد طلاب الهمد ممناً
مباحة علم بلت كل مفصصٍ
أنا قد فصحت كل أبنَدٍ
فياَك بحر بابر الفضل والفصل.

إذا جنحت لعلم والجدور طالبِها
كما أنه بحل الإشكاليات العلمية التي تستعصي على بعض السائلين، يقول ابن نباتة:

ومسائل في العلم أشكال أمرها
ببراع سيف أو بسيف براعيّة
فصل الأمور جلدها وجدالها
الفصحجة والبلاغة والتمكَّن من اللغة صفة ملهمة للمدبر، بل إن هذه الفصحجة
جعلت الطروحات تأتي على لسانه طائفة متقبلة لا تخذلان إذا أراد كلاماً، يقول ابن نباتة:

إن أفضح حديثاً أوٌّ توالُ بدر
وإن أردت عياناً أو محاشرة
فأهرع إلى سندي وأسمع أسنيدي

وجملة المؤيد والافضل مع الشعراء كثيرة، وفي هذه الجملة كان المؤيد يوجه
الشعراء ويثير قراههم، على نحو ما ذرأ عند ابن نباتة:

أنَّه الذي ثوبت فكري مديحة
دربُهُم والأشيا بتدريبي
كِم ليلة قالت لي فيها أنني بدعو
أشعر العرب مدع أكرم العرب

ابن نباتة، الدوران، ص 186.
المصدر نفسه، ص 247 وما بعدها.
المصدر نفسه، ص 248.
المصدر نفسه، ص 239.
المصدر نفسه، ص 128.
أنشأت للشعر أسباباً يقال بها، وهل تُنظم أشعار بلا سبيلٍ (٧)
بل إنه لم يشعر بشاعريته ويعرف موهبته، إلا بعد أن اتصل بالمؤيد، ورأى اهتمامه بالشعر والشعراء، يقول ابن نباتة:

من مبلغ الملك المؤيد أصنن
ولده ما سميته نفسها شاعراً (٣)

ومن الصفات المدحية الأخرى، للمؤيد وابنه الأفضل، الرأي السديد والحكمة والحلم، وهذا الحلم، أوسع من الغضب، فالمدحوب يتغاضى عن أخطاء الذئبين، وينحيمهم العفو، يقول ابن نباتة في المؤيد:

لا تستطيع إليه سورة الغضب
وها لحولْي معنى في خلافته

يغضب عن السبب المرجعي بصاحبه
وفيظي العطاصا جما بلا سبيلٍ (٣)

ويقول فيه الشهاب محمود الطلي:

من أحنف في الجمل دعّ نكره
ولا تفس قسمه في إيساد (٣)

وتكون هذه الآراء التي تنادي عن روسيّة وتفكّر صائبة، كما نرى في قول ابن نباتة:

إذا شام رأيا في اللامات كفهما
بأنك من صرف الزمان واكتب (٣)

أقام للملك أراءً مَعَظَمَةً
ل شبها في بروج اليمين تيسير (٣)

الذى حلى ما يروق من الشكل (٣)

ويرتبط بهذه الصفات المدحية، حسن الخلق الذي يتصف به المدحوب، يقول ابن نباتة:

٢- ابن نباتة، الديوان، ص ٣٢-٣٣.
٣- المصدر نفسه، ص ١٨٨.
٤- المصدر نفسه، ص ٢٢، السورة: الثورة، سورة العرب، غ ٢، من ٢٨٤، مادة (سور).
٥- إبراهيم أبوبكر: عبد العليم منصور، المحمود الوسيط، ط ٢، القاهرة، ١٩٧٢، ج ١، ص ١٩٧.
٦- المصدر نفسه، ص ١٦٨.
٧- المصدر نفسه، ص ٣٧٧.
وسجيا كالروض تبتسم بالزهد
فاح ذكرا وفاض في الخلق نُهراً
فِحْيَدْنا الرَّيْاضُ والأنْتَفَسْاْا (٢٣)
ويُقَدَّ ذلِك بقوله:
ما شبيب من أخلاقهَّ ذرةٌ (٢٤)
سبقان من صوته خالصاً
وصدق الوعد صفة جعلت الشعراء، يستذكرون إسماعيل عليه السلام في مدحهم
للملك المؤيد، يقول ابن نباتة:
لهد صدقنا في الزمان وعُودَه
ويقول صفي الدين:
هنات نفسي، ثم قللت لها أبديٌ
وقي فذلك وعَدَّ إسماعيلًا (١)
كما أنشى الشعراء بالمؤيد وابنه بابه، على نحو ما نرى في قول ابن نباتة:
بِشجاعة ونضُّض السيوف صقيلة
والمعامير ربها يشكر الصدري (٢)
انطلق الغد يوم الوفي مبتسماً
وبيَّنوا عدل المؤيد وابنّه، وتغريج الأزمات، والنكبات، يقول ابن نباتة:
أعد الملكين حكاً فيما يَنظُر
لمِ الهدى والدينُاْاْا (١٤)

(١٠) ابن نباتة، الديوان، ص ٢٦٦، النهج: دم الجوف، لسان العرب، ج ٤، مر ٤٨١.
(١٢) المصدر نفسه، ص ١٩٠.
(١٣) المصدر نفسه، ص ١٨٨.
(١٤) المصدر نفسه، ص ١٣٦.
(١٥) المصدر نفسه، ص ٥٨١.
(١٦) المصدر نفسه، ص ٤٤٣.
(١٧) المصدر نفسه، ص ٥١١.
(١٨) المصدر نفسه، ص ٤٨٠.
(١٩) المصدر نفسه، ص ١٨٩.
عادل ما كاد زيد النحو قسي

ويشير إلى هذا، الشهاب محمود الطليبي بقوله:

والعدل والمعرفةواري الزناد

حوكة الندا والفضل بادي السنا

الولى عماد الدين ذات العمار

فاهتها من عذبة في مهاد

ووقول ابن نباتة:

فانت ابن أيوب والإله ابن مريما

فما تختشي اللزار ولا تختشي

وقد أمنننا دولة شادويبسية

لها وجوه الأمازي، بعدها جمحت

أما الرعايا فقد رأت بدولته

والعدل والطمانيئة، وتشجيع الحكام للعلم في حماة، جعلت القلوب تهفو إليها، وتشد

الشعراء الرحال إلى تلك الأرض. يقول ابن نباتة:

ملاك كل قصيد الدار محورب

يسعي لبيك وافية ولا يشتهى

ولنعم ارضا وافد بسيع لهما

والشعراء، عندما يقررون على حماة، تجزؤ لهم العطايا على نحو ما نرى في قول ابن نباتة:

في كل عام لي إليه وفاءة

تغفي قصيدي من سواء ومقصدي

ابن نباتة: الدوران، ص 193.

السفيري: أميان المصري، ج 1، ص 195.

ابن نباتة: الدوران، ص 42.

المصدر نفسه، ص 296، اللواء: ضببق المعيشة، الوسيط، مادة (الأي)، ج 2، ص 81.

المصدر نفسه، ص 98.

المصدر نفسه، ص 216.

المصدر نفسه، ص 379.
الم توني يُعْتَبَر كَعَبَةً بَيْتٍ وَلاَ وَلَدٌ (۴۳)
والمؤيد وابنه، من عائلة كريمة، عرف عنها المكانة الرفيعة، والنسب الأصيل.
وإلى هذا يشير الحليم بقوله:

١. حماسة بالسماح مَقْنَرَةُ
٢. كلْ أَفْعَاليْنِ مُتَّبَعَةُ
(۴۴)

وينقول:

إلى آلل نيوس يُعزى الْقَضَارُ
في كلّ ماضي ومَسْتَقْبَلِ (۴۵)

ويتبهع هذا دعوة لبقاء هذا الأصل الأسم الذي يذكر بال تقليد الدين على نحو ما
نرى عند ابن نباثة:

١. وسقى الله أصلهم فقد أثْمُ (۴۶)
٢. ولا يستدعي إليه مُحْمَّداً
٣. ما شاء إسماعيل بَيْتَ تَحْارِه
٤. سار على مَنْهَاجه فِيْما يَأْثُرُ
(۴۷)

والصوره الدينية للافضل لم يغفل عنها ابن نباثة حيث يشير إلى زده هذا الملك
بقوله:

١. مِنْ اتْقِى اللَّهِ آتَقُتْ بِبَسْتَةٍ
٢. كُوَاسَرُ الأَفْقِ وَغَلِبُ الْوَهْدَارِ
٣. أَمْسُ سِوَاهَ بينّ كِاس وَفِثْرَ (۴۸)

ابن نباثة: الديوان، ص ۱۳۲ وما بعدها، سموا اسم من اسمه، وقيل لقوم نوح (الستان العرب، ج ۱، ص ۱۷۷، مادة (سُوَاء), ودل صمم كان لقوم نوح لما صار لقبلة كلب (الستان العرب، ج ۲، ص ۳۵۵)، مادة (ود).
(۴۳)
(۴۴)
(۴۵)
(۴۶)
(۴۷)
(۴۸)
ويؤكد ابن نابية أيضاً على تمريز المؤيد وابنهم على سواهما من الملوك في قوله:

ما لابن شاد في العلي ند وسل
وعما أتميت سننا الكواكب يشهد
فماليبوب ند من الورى
وما في بني أبو بعدي له ند

وقوله:
ما سمعنا للفضل الفرد شان

وجد الدمح أحيان لا يوجه إلى المؤيد مباشرة وإنما إلى شيء آخر هو كتابه الجغرافي تقويم البلدان، وقد انظر في هذا العصر ما يسمى بعذر العلماء وخاصة عندما يقرض

العلماء كتب غيرهم، ويقول الحسين بن ريان في تقويم البلدان:

كتاب يديع وصقله واختراعه
وحائر في من وصف البلدان غرائباً
وقد رأى حتى خلفت الفاظه الصنبة
وقال فبالمكانة والسماه الشهيرة

تعاء على الأنلاك واستغلت الفطه

هو الملك الضريح ذو الهمة التي

ب - الرثاء:

أما شعر الرثاء الذي قيل في الملك المؤيد وابنهم الأفضل، فقد كانت قصائده من
باب الشهبان، والعزاء، وليلا، وقد شعر في معانيها، خصائص المشي التي كان
يصف بها، وأثير الحزن على من يحبونه به، وعظم المشيبة.

ويحدثنا الشاعر، الصافي الولي عن فراق المؤيد لأمه وأحبباه وابتعاد عنهم;

إلى دار البقاء، يقول مسمطاً نونية ابن زيدون:

كان الزمان بليقياكم يمنيننا
وحاتم الدهر بالتفرق يشيزنا

ابن نابية: الديوان، ص 136.
المصدر نفسه، ص 136. الحسين بن ريان: المصري بن سليمان بن أبي العبد، شرف الدين بن ريان، ولد
يعله 277. واشتقاق وتفصيل، وكتب الخط المنصور، وتقول بالنقش إلى أن أحادي، ت 767. (الدرر، ج
ص 142).
مقال قدر الكيلاني (ابو الحداء، ملكاً وملكا)، مهربان أبي الحداء، ص 147.
فَعَلَّمَةُ صَنَّفَتْ يَبْكِيمُ أَمَانِيْنَا
وَنَأَبَّ عَن طِبِّ لَقَابًا تَجَايِنَـنَا
خَلَّنا الْرَّمَّانَ بِنْفِيْكُمُ ُمُسَاَمِحُنَا
لَكِ نُؤْرَانَ بِذِكْرَكَمُ مُدَانِحِنَا
فَعِنَّمَا سَفَّحَتْ يَبْكِيمُ قَراَبِحُنَا
بِنْتِنَا فَهَّا أَبْحَتْ جَوَاهِنَْنَا
شُفَاى إِلَيْكُمْ وَلَا جَفَّتْ مَاَقِيْنَا (1)

ويقول في الأفضل، من قصيدة أخرى يرثب فيها ويذكر ابتعاده:

يا غَ لِيا أَخْسَى الْشَرَبِ جَمَالًا
عَنْتَا وَأَنْفُهُ لَدِيْ حَضْسٍـسُورٍ
وَمُسَافِرًا وَلِي فَطُولُ نَيْسَةٍ
وَنَرَى الْمَسْافِرُ فَرْضَهُ التَّقْصِيبُ (2)

وعلى الرغم من وفاة المؤيد وأبيته، إلا أن شعراءهما يؤكدون بقاء الذكرى الطيبة في نفوسهم، واستذكار أعمالهم الجليلة، يقول الطلي:

يا غَلِياَينِ ومَنْاوَهُم مَراَةٍ رَّمَيْنَا
تَكَادْ حِينَ نَتَسَجِيْكُم ضَماَرَّنَا
(3)

يُقْضي علينا الأسى لولا تاسْيَنَا

وفي رثاه للأفضل يصف الحلي عظم الخير وشدة وقعة:

أَخْلَتْ عَلَيْنَا الحادِيثَاتِ بِرَزْبَةٍ
وَالْزَدَّرُ بِالمَلِكِ الكبَيرِ كَبِيْرَ
يَلْعَوَّ لهِ التَّهْنَيلَ والتَّكْبِيْرَ (4)
رَعَالَا الْتَّمْيُّيِهِ لَهُ وَكَانَ إِذَا بَسَدًا

ويصوَر ابن ذبابة عظم مصيبة وفاة المؤيد بقوله:

مَا للنَّدَا لَيْلِي صوْتٌ دَاعِيٍّ
أَطْنَى ابن شَارْقُ قَامٌ نَامِيـهِ (5)

ويبوضُح لنا مدى لفته وحسرته لوفاة المؤيد وأبيته:

يَا َجَفَّنَ أَمْرُعَ أَدْمَعُي بَدْمَانِي
وَشَهِيدَ بِهَا مَلْوَكَتَا الشَّهْدَاءِ

(1) المصنف العلي، ص. 259.
(2) المصدر نفسه، ص. 281.
(3) المصدر نفسه، ص. 319.
(4) المصدر نفسه، ص. 281.
(5) ابن نباتة: الديوان، ص. 75.
لهفي على ملكين جداً عليهما
لم ألق يوم رحنا لما فداءهم (16)

ويعقول في الممؤذ:
كيف استمال لنظمي في مدانه
وينحنى لو تأخر الموت قليلاً
فكان يغبني بني الدنيا ويبقى عليه
ليت الحمَّام حبا الإمام موهبةً
تعتبر أعزَّ عليّ بأن تبلى شماتلَّه
تحت التراب وما تبلى أياديه (17)

وتعود لذاكِرة صغيّر الدين الحي، تلك اللحظات الجميلة، التي تضاءها في ظل هذين الملكين، في روعة حماة، وما نعم به من خير:

حمَّدت أيام أنسري بكم سعيداً
واستعده إذ وقت فنيكم بما وعدت (18)

ويقول:
فرُنًى بنامل الأماني من تشرِفتنا
بقربكم إذ برَّينانا من تكُلفتِنا
إذ جانب العيش طلَق من تألَقتنا
حتى كان النبيَّالي في تصرِفتنا

ومعورد اللهد صافي من تصفيفنا (19)

والحالة التي يتصورها الشعراء، بعد ذهاب المؤذ ونافذ، فإنها التشرد والحزن، والبعيد عن ديار الأحبة، يقول الحلي:
فاليوم إذ غيبتم والدار قد بَعدت
حالات لْفَشلكم أبساماً فَفَغدت
سوداً، وكانت بكم بيضاً ليالينا (20)

ويقول:

ابن نباثة: الديوان، ص.515
المصدر نفسه، ص.571
المقبي الحلي: الديوان، ص.36
المصدر نفسه، ص.36
المصدر نفسه، ص.36 وما بعدها. (21)
لا يجد الشاعر ما يسعفه إلا البكاء والحزن، وشاركه في البكاء، ظاهر الطبيعة.

وحتى الشعر نفسه يتحول من الطبيعة إلى الرثاء، يقول الطلي:

إذا ذكرنا زماناً كان يدركنا
بالقرب منكم وفي اللوات يدركنا
لا نملك الدموع والأحزان تملكنا
إن الزمان الذي قد كان يضحكنا

أحسناً بفؤادك قد صار ببكيناك (3)

ويقول:

في فقدها الملك المؤيد شاهد
أضحت مذأنة الحسن ماراثي
للناس منها رئة ورفيق (2)

ويؤكد على هذا ابن نباتة في قصائده، حيث يقول:

با جفتن امرؤ أدمعي بدماشي
واشهد بها لموكتنا الشهيداء (4)

ويقول:

وفي كل بيت للثنا صوت نانسح (5)

ويقول في المؤيد:

كيف استحال بنظمي في مراشيه
وطارع الحزن فيه دمع عاصيته
هذي حماة أغصه اللهم واديها
والنعابر نوح في نواجيته (6)

والصفح الطلي، يرى اليوم الذي مات فيه الأفضل، يوم الحشر، لشدة الإضطراب في

(1) المصدر نفسه، ص 271.
(2) المصدر نفسه، ص 272.
(3) المصدر نفسه، ص 272.
(4) المصدر نفسه، ص 272.
(5) المصدر نفسه، ص 272.
(6) المصدر نفسه، ص 272.
منا لجبال الأسئات تسيسر
فتكاذ من حزن عليه تسنن
(37)
وأطم أن صباح الحشر ثانينه (38)
وأعطت يا أبوب صبرى كان ينجبه (39)
(77)
(78)
(79)
(80)
(81)
(82)
فإذا القضاء جرى بأمر نافذٍ،
ويقول ابن نباتة:
كل سياتيه منها دُوَّرَ ساقِيهُ
هي المنايا على الأقوام دانيةً
هي المقابر هذا الأصل تُنْبِيهُ
بعد النمو وهذا الفرع تُنْبِيهُ
وفي آخر قصيدة الرثاء، يدعو الشعراء للمرثي، بالرحمة والسقية، وأن تكون الجنة:
ماواه ومرقده، يقول ابن نباتة في المؤيد:
سحابٌ الخفُر والحراكي فلا بِرَحْطُ
جاذِب الحبا في البَرِيحٍ والضياء تُنسقِي الدار
نعم الضريح ونعم المرء شاوسيه (1)
والفلي برئ الجنان وقد فرحت بمقدم المؤيد إليها:
سمعت بمقدم الجنان فَخُزِرتْ
وتهابت ولداني ووجسْرتْ
لم تَذِكَّرُ مثلب الفاسلون جانمها
علاقات يِلي وعَفَّتْ على بلدة ما إلى تصييم (2)
تبتكي عليه وما استقر قرار (3)

الفيل:
أما شعر الفيل، فقد تتنوع في عهد المؤيد وابنه الأفضل بين المقطوعات القصيرة، والقصائد الطويلة، ومقدمات القصائد وخاصة في شعر ابن نباتة، الذي يستاهل قصيدهه غالباً بحاسات من الفيل.
ومحرور القصائد الغزلية، يدور حول الحديث من الحبوب، لأن الفيل في معظمه، موجه للمذكر، وذكر أوصاف هذا الحبوب، فالخدود ورد، والشعر ليل، والقد فصن بان، والخفة كالغازل، ثم الشكوى والكلام، من ابتعاد هذا الحبيب وهجره للمحب، ومحاولات

(1) الصفي الديني: الديوان، ص286
(2) أبي بن نباتة: الديوان، ص472
(3) المحترف نفسه، ص57
(4) المصدر نفسه، ص57
الشاعر الدائمة. إرضاء هذا الحبوب ووجود اللامين والعزل، الذين يلومون هذا الشاعر على إقناعه لنفسه في سبيل محبوبه، والحديث عن مجلس الشراب والنامة.
في هذا المجال، وجمال الساق، وغير ذلك.
يقول عمر بن محمد بن العديم في مقطعة غزلية له:

- أشكوك إليك ظراما فيك اقتفاني
  قد تلقي النسي على طول المدى ووقعت (8)

ويشارك ابن العديم في هذه الشكوك الشاعر المصري محمد بن أبي طرطوس، نزيل حماة، حيث يقول:

- بريقي الكتاب فرث أشتياعي
  اشتكى مع البخار إليك
  وتلقت بالسعج فسني الأوراق (8)

والصفي الحي، يشكر أيضاً من البحر والفراء:

- شكوك إليك الجذور
  قد تنمسي بالدروى
  جعلت إليك النسيوى
  فمذ كان عمر النسيوى
  شفيعا لم تشفع (87)

ويتبع الشكوك الحديث عن صدور الحبوب، وما يكابده الحب من هذا الصدود، يقول ابن العديم:

- وصام اليوم في الأحباب قد شفعت
  واللالي بسهم البعيد قد رشقت
  وخلفت في الذي يهوى وما ينثى
  وقفت جمع شامل كان ملئهما (88)

(85) الصندوق: إعيان العصر، ج.2، ص.282.
(86) المصدر نفسه، ج.3، ص.299: عمر بن محمد بن العديم: قصي قضاة حماة، وله فضائل معينة، كان المؤيد يعطفه، ويشوك على فضائله، (إعيان العصر، ج.2، ص.297).
(87) الصنف الحي: الديوان، ص.42.
(88) الصنف: إعيان العصر، ج.2، ص.282.
ويعاتب يوسف بن محمد بن مظهر الحموي في حبوب على ابتعاده وهجره له:
حببي طالما وافيت جميعدة لا ترى إلا خلافستي
وخلقت الوسالة وملت عنة لا ترى بعض أفغان الخلافات

والشهب حاجي في قضيته التي مدح بها الأفضل، فإنه يخاطب أهل الحبوب:
الذين حاولوا بينه وبين محبوبي وحجبوه عنه، يقول:
يا ساكني السفاح كيف حجبتم عن ناظري القدر الذي لا يقبل ما شتم يا أهل بدر فأعدوا فعلى حجار الصدر مالي محمل

والهجر والصدور يؤديان بالشاعر إلى البكاء ووحي الوصل، لو كان فيه حتفه، على نحو ما نرى عند ابن نباتة:
من لي يوم الجماع بلا عهد ما قد كفي من غيره وتسعد هذي بدي في الحب إفك فاتلي

ويتمنى صفي الدين عودة عبد الهوى حتى ينثني الله وحجزه:
ثرى هل لي في الرحب فالموج ومجنح في البكر وتحاجتي بالجحيم وقود وقودت أضطلم

وقد أحرقت أضطلامي

ويحاول ابن حماد أن يدل على ما يعانيه من فراق الحبوبة بالدموع والبكاء:

ابن حماد: يوسف بن محمد بن مظهر الصموي الشناعي، مقتني حمامة وخطيبها، شارك في النحو، وهو أديب وشاعر، سافر إلى القاهرة والقبي فيها شعرًا (النهاي) (إيمان، ج 2، ص 369).
المستقل، أحمد بن محمد، ج 1، ص 45.
ابن حجة الصموي، نفي الدين (3734) خزينة الأدب، شرح الكامل، دار ومكتبة النيل، بيروت، ط 11، 1987.
ابن نباتة: الديوان، ص 32 ج 3.
الصوفي الحلي: الديوان، ص 198 (43)
الشاعر الجاجي أيضاً لا يستطيع منح دومه:

"عمداً جري من أدمعي لا ينفعلوا
فمدمري إخبارها تتسلى...
وخذوا حديثاً قد ألم بمهجتي
وزاداً حتى أهملته المعدل" (4)

وأما ابن نباتة فإنه يقدم هذه الدمعة مهراً لمحبته:

وًعون قد استحلىست دمي لجلها
ومن الغزل المذكى قول ابن العبد:

أحور فناناً كحور الجَنّان
وقوله في نشار:

"فدت تنشأنا غداً تنشأنا" (5)

والمؤيد يقول في ملحن اسمه حمزة:

"ومن أعوذ ولي من تجلب
ووفق وجنثي وفي قينه" (6)

ويكثر الشعراء في قصيدة الغزل من الحديث عن اللاضمن والعدال، الذين يلومون على

الحب، يقول ابن حماد:

"ودعت لو كان الهوى عادي ليجري
حال الحب على الأشواك والفكرة
قالبي بناءً على ما قد رأى بصحراء" (8)

المصدر: أعيان العصر، ج. 3، ص. 259.
ابن حجة: الخزانة، ج. 2، ص. 259.
ابن نباتة: الديوان، ص. 125.
ابن القديم: أعيان العصر، ج. 2، ص. 298.
ابن الغداة، إسماعيل بن علي (ت 834): تقوم البلدان، تصميم رينيه وبيسان، دار صادر، باريس.
المقدمة، ص. 12.
المصدر: أعيان العصر، ج. 3، ص. 259.
ويشير إلى ذلك اللُّوم الصافي الحلي:

يا من قد قلاني لو كنت تهدٌ إلى الحق
ومرت النعالي عَنْهَا ما إلّا رَقْسٌ (19)

ولأني نبأنا لا يسمع كلام العذال ولا يصفى إليه

على مثلها يعشي العذال وإنما

عَزِيزٌ على العذال عند صرُفْهَا

والفقه في دينار وجنتها نفاذ (10)

وصفات الحبوب في معظمها تقليدية، فالحبوب كالغزال في مشيئته، والحدود

كالورد في إحرارها، واللحظ كالسيف، يقول المؤيد في غزلاً:

كَم مِن دَمْ حَلَّتْ وَما دَمَّسْتْ

لم أكن الشمس من رؤيتها

كما مواطيَّة، أقدمها لْمَسْتَه (11)

وعين الحبوبة تمتاز بجمالها، فهي حوراء، يقول ابن حماد:

بَا فَاضِحُ النَّسْم من عطْفِه في هِفْد

ومُخْلِلٌ النَّبْلِي من عِينِه بالحور (12)

ويقول الشهاب الحاجبي:

ثاني المعاطف كنت أول عاشق

يرمو فيجلو للمشيّر لحظة

مائلُه الأوصاف سيف لحاطله

(13)

ومعَظم هذه القصائد أو المقدمات الغزلية، لم تتكلم عن تجربة حقيقية، بل هي

نوع من التقليد سار فيه الشعراء على نهج شعراء العرب القدماء.

(19) الصافي الحلي: الديوان، ص 458
(10) ابن نبأنا: الديوان، ص 124
(11) العفني: إماريت النصر، ج 1، ص 123
(12) مصدر نفسه، ج 2، ص 259
(13) ابن حماد: خزانة الأدب، ج 2، ص 122
 الشعر التهنئة:

وشعر التهنئة في عهد المؤيد وابناء الأفضل، شامل التهاني بالأعياد أو الولادة، ولادة مولود جديد، أو العودة من السياق، وغير ذلك. ومنها قصيدة الصفي العلي:

"طلائع الأفراح التي يبنى الأفضل فيها بتولياه عرش حماة وصدر مرسوم الملك الناصر بذلك.

استهل الشاعر القصيدة بوصف حال الأفضل وحال حاسديه الذين حاولوا إبعاده عن الولاية لكن الله نصره عليهم. ثم ينتقل بعد ذلك إلى وصف بعض المنازير في حماة، وذكرت الجلسات الجميلة فيها، ثم ينتقل إلى التهنئة:

"بأ أيها الملك الذي سُّهر
تظل في بيت عرش ستُسلام
مُفتي صاحب العشر وربعان
فامَ لاهل العصر برهانة.

وفي قصيدة أخرى هنا فيها الأفضل بعيد النزول بعد انقضاء الصيام:

"فاستعدَّ بعيد فطرك السعيد
فاستعدَّ عربيَّ الرغيـض
لك من الصوم والإنطار والتعبيد
وانت عيد دائم لا ينتظـر.

ومن مواضيع التهنيئة، التهنيئة بالمولود، فهذا ابن نباته يبني الأفضل بمولود جديد، ويفه في السعادة التي يشعر بها الأفضل:

"بغزت بالولد الأزكي وبالولد
وبالماك اسم يرزق بالولد
علي ضروب التهاني آخر الأيام
ما شنت من عرض سام إلى عصر.

ال источان: الديوان، من 21-4.
ال المصدر نفسه، من 22-3.
ابن نباته: الديوان، 22-1.
ويشير إلى أن مثل هذه البشارة، تؤكد استمرار الأسرة التقوية:

جاء البشائر بنزول النجم مشرقًا،
وضع الملك ضم الروج بالمسعدة,
وماست السفر بالأجاح وأمعنت
بضب السيف وقررت أمين الزرد

وأما وجه الولود فإنه بشاره الخير والتفاؤل:

له مخالب من مجد تكون،
يا أيوب بشرامك بوجه فتى،
رواي الشمر في الحاضر متقيد
يروي حديث العالى عن أب قابث.

والقصيدة الأخرى لابن نباتة بالقدوم من الصيد يبني، فيها المؤيد:

مرحبًا بالحياة لكل جديد،
والقصيدة الأخرى لابن نباتة بالقدوم من الصيد يبني، فيها المؤيد:

ما رأى الطروف في السماء، مثلًا

والتهنئة بعيد النمر، كانت مجالًا للشعر، يقول الصوفي الحلي:

أيا ملِّكَا سُдыُّود،
كلفِ كُونَتُر
لربك صل بساعة
عيد واحترام

وكن موظفًا أن
شانيك أبنتُر

هـ- الوصف: وشعر الوصف يشمل كافة الأغراض الشعرية وقد ظهر الوصف في الإخوانيات، والطرديات.

1- الإخوانيات:

وقد تمثلت الإخوانيات في عهد الملك المؤيد ببعض القصائد الشعرية التي كتبها

ابن نباتة: الديوان، ص 124. ماست، ليبر، النبض، والختا، لسان العرب، مادة (ميسر) ج 4، ص 274.

المصدر نفسه، صفحة 124، الديوان: الذهاب، لسان العرب، مادة (لاه)، ج 4، ص 283: ابن منظور، جمال الدين محمد
ابن مكرم، ت. 761 هـ، لسان العرب، دار صادر، بيروت.

الصوفي الحلي: الديوان، ص 23. وقد تأثر الشاعر هذا بالفاظ القرآن الكريم في سورة الكوثر.
الصفيح الحلي إلى وطنه وأقاربه، وهو في هذه القصائد التي بعث بها من حماة إلى أهله في العراق يعبر عن شوقه وحنينه، كما أنه يبين مدى راحته وابتهاجه في حماة.

في قصيدة بعث بها من ماردين إلى الملك الأفضل أشاد فيها بمحاسن الأفضل ودعا له بالسعادة الدائمة. أما القصيدة الثانية، فإنها بعث بها من حماة إلى الحلة إلى أحد أبنائه عمومته، وقد بدأ قصيدته بمقدمة في الحنين لوطنه، يقول:

أثرى البارج الذي لا يلسل
مر بالحيي من مرايا ليلنتسي
سُحببت في ربوه بابل ذيسل
وترة السحب مذا نماش ثقالا

وتعود الذكريات إلى وطنه وما قضاه فيه من أيام جميلة:

ما أضا البارج العراقي إلا
أرسلتُ مغطاة من الدُموع سيلًا
ه وثداً من آل سنابس قيالا (111)
وتذكُرتُ جيرة بمجانيست

وبعث برسالة أخرى، إلى أحد إخوانه من حماة، حيث يتحدث في مقدمة القصيدة عن حاله، وما يتمتع به من سعادة وهدوء، في حماة وخاصة تلك الجلسات الجميلة على العايش بين الوضعي:

يا قاطع الليل يطويها على نُجُب
اتّخاذ من شناغي غير أشخاص
إذا ورثت بها شاطئ الغرات وقد
وجزت بالحالة الفيحة مِلَّمِحًا
أرام سرب حماتها أسد غيمرها
قصر بن مزيد لا سعد بن وقاص
فَخْفَفَ بصعديها المشكور منشأة
واخبر بتأتي وإن أصبحت مبنية
مجدًا وأعلى قدري بعد إرخاصي

صاحب إلى نحوم صب يحتفظ

وكتب في صدر رسالة أخرى للملك المؤيد، يقول:

سقي الله أرضنا نور وجُلْدُ شمسها
وجيما سماء أتت في أفقها بُرْد
وروى بلادنا جود كفُك غيثهما
ففي كل قَطر من دناك بها قطر (112)

(111) المصدر نفسه، ص 291.
(112) المصدر نفسه، ص 289.
(113) المصدر نفسه، ص 311.
ويعبّر له في رسالة أخرى عن مدى حبّه له وحذينه، يقول:

يا سادة حملت من بعدهم
أصبحت كالورقة في مدحك
ما غدا إعضاكم طوقي
لإليك في غاية الشوق (١١٦)

كما بعث إليه أيضاً برسالة أخرى يطلب فيها منه أن يحمل إليه غريباً يبده، يقول:

يا أيها الملك الذي أراوه
سبحت على هام السحاب ديوال
طلبت الآنَّ به ونلت السولا
امتدّتُ من إلهك بالذي
وبريف مصرف لي عزيز لم利
نُى عرضت على علاك لذكر
لهنات نفسي ثم قلت ليا ابشيoly

وثقى فذلك وعهدُ إسماعيلا (١١٥)

ومن الإخوانيات أيضاً، تلك الرسالة التي بعث بها كمال الدين الزملكاني، وقد كتبها
لشرف الدين هبة الله ابن البارزي الحموي، يطلب منه فيها كتابه الذي شرح فيه
نظام الحاوي واسمه (كتسيز الغناوي في شرح الحاوي)، ولعل هذه الرسالة تختلف
عن غيرها من الإخوانيات، فهي ليست وجدانية تعبير عن الشوق والحنين، أو الاعتبار
الجهني، وإنما هي لطلب كتاب، ومن هنا فقد دخل في الإخوانيات موضوعات
جديدة، كطلب كتاب أو طلب إجازة أحياناً لقصيدة أو حديث، وترتب على هذا أن
تكون مثل هذه الرسائل خالية من العواطف المعبّرة لدخول موضوعات نثرية في هذه
الإخوانيات، وهذا يدفعنا إلى القول أن النثر والشعر في هذا العصر قد اشتكروا في
كثير من الموضوعات، فاصبح الكاتب يقولون ويكتبون بعض موضوعاتهم النثرية
شعراً كما في هذه الرسالة، وفيها يقول ابن الزملكاني:

يا واحد العصر ثاني الشمس في شرف
وثلاث العمرين السالفين هدى
تيسيرك الشامل الحاوي البسيط له
نهائي لم تكنها غاية أبواب

(١١٤) المصدر نفسه، ص٤٨١-٥٨٢.
(١١٥) المصدر نفسه، ص٤٨١-٥٨٢.
(١١٦) المصدر نفسه، ص٤٨١-٥٨٢.
وقد سُمِّيت هنالك أصدرها لها، واشتملت بالوصف، أرداف الكتب، واشنطن، (116).

(116) ابن الباز: "لقاء ابن بطوطة"، 1387هـ، ص 142.

(117) أبو الوليد: "الشمس"، 1394هـ، ص 129.
ما بين نور مستفير الليل،
وزهر يضحك في الأكمام.
ويتحدث بعد هذا عن جمال الحياة في وادي حماة حيث الهواء، والسعادة:
تُعرف فيه نضرة التعب.
حيث يعيش به والعش.
ويصف الشاعر الاستعداد للرحلة مع بعض الصاندين:
بروزنا للصعيد فيه والقصص،
وحوتنا من مرة أخرى.
وعلنا في الطير فوق الواجب.
وأخذنا الوشم من المسارب.
وبحدثنا الشاعر في هذه الأجزاء أيضاً عن أنواع الحيوانات التي يصطادونها،
والخيل التي يركبونها، وعملية الصيد نفسها، ثم نهاية الرحلة الموفقة.
ويتحدث الخلي في مناسبة البناء في مرج فامية في حماة في عهد الملك.
الفضل في بديعة طويلة وصف فيها الأطياف الكثيرة منها:
أما ترى الأطياف في تشرين،
فريقها نابع عن الأنثىين.
يأمدها الشوق وينهاها المذد.
هذي الكراكا حائدة في الصحراء،
والفراق في جبال الورد شادًا.
وما درت أن المنايا في الصدر.
فابرز بها نحو مرامي فامية.
وذلك المرامي لم تزال مرامية.
وخلت من بلدة فيهما روز.

(118)
ابن نباتة: الديوان، ص 585.119
الصفيّ الخليّ: الديوان، ص 229 وما بعدها.
الفصل الثاني

الشعر في عهد الملك المؤيد وأبنه الأفضل

من (27 - 343هـ)

دراسة موضوعية

١- بناء القصيدة

٢- الصورة الشعرية

٣- لغة الشعر

٤- الأوزان والقوافي
الفصل الثاني

الشعر في عهد الملك المؤيد وأبنه الأفضل من ١٠٠ - ٣٦٧ هـ

دراسة فنية

يتضمن فصل الدراسة الفنية للشعر في عهد المؤيد وابنه الأفضل دراسة بناء القصيدة من حيث المطلع، القصر والطول، وأسلوب الشعراء في قصائدهم، ولغة القصيدة، ولفظ النبدي التي استخدمها الشعراء في قصائدهم، والأوزان والقوافي لهذه القصائد. وتألف القصيدة الشعرية عادةً من مقدمة، وعرض لموضوع القصيدة، و وخاتمة، ومن مستلزمات المقدمة مطلع القصيدة أو أول أبياتها. وقد أشار حاكم القرطاجي إلى أهمية المطلع عندما شبهه منزلة الفرة في الوجه، وأثرها في حسنه وجماله، وبيان ما يجب أن يكون عليه هذا المطلع من جزء، ودلالته على فرضية القصيدة، فإن كانت مدحا حملت في مطلعها ما يدل على ذلك، وأن كانت رشئة كانت في مطلعها تحمل أفكاراً تشير إلى ذلك، كالحكمة وغيرها.(١)

١- بناء القصيدة:

اجتماع في حماة الصوفي الحليّ وابن شبانة وغيرهما من الشعراء المعاصرين.
ولعل من أجمل المطلع التي مثلت قصائد الشعراء في عهد المؤيد وأبنه، قصيدة ابن نباتة عندما عزى الملك الأفضل بوفاة الملك المؤيد، وهنا في القصيدة نفسها، يقول:

فما تُعَيّن المُحْزُون حتَّى تُبَسَّمُ

سَبَيْنَاهُ لا يُمَاتَ ذُو السِّبَقِ منَهُمَا(٢)

وحسن المطلع في هذه القصيدة، يكمن في قدرة الشاعر على الجمع بين التهيئة والتعبيرية دون إخلال في المعنى أو خروج على عادات العزاء.

(١) أبو الحسن حاكم القرطاجي (١٦٥٨): مساج البليغة، ومجلة الأدباء، تحقيق عبد الله ابن الخويز، تونس، ١٣٩٩ هـ.
(٢) ابن شبانة: الديوان، حس١، ٤٤٩.
ونجد قصيدة أخرى لأبن نباتة، قالها في الملك الأفضل عندما تزده، فقد راعى الشاعر حال الأفضل في المطلع، واستخدم أساليب النداء عندما خاطب الساقي، وهذا من شروط حسن المطلع، يقول ابن نباتة:

إليك مَدِيرُ الكَاس عَنْي إِنْتِيّ
فأيماك بالليلماي، يُشرق حَدْهَا
ولست أباريق المدام سُجَدًا(3)

وهي فعلت فلا الساقي لذي براكيم
وتستدعي التهنيئة، وما فيها من البهجة والسرور، من الشاعر الحافظ أن يبدأ قصيدته، بما يناسب شعور هذه البهجة، من الكلمات السهلة والرقيقة، يقول ابن نباتة في تهنيئة الأفضل بمولود:

هَلَيْلً بِأَثْفُكِ المَلِكِ تَزْهُي سُفَوَاهُ
وَشِيْلَ بَغَبِ السُّفَرُ تَرْبُؤُ أَسْوَاهُ (4)

فكلمة "هليل" وهي حالة النشر في بداية ظهوره، تقابل حال المولود في أول أيام حياته، والشبل ابن الأسد الصغير هو المولود الجديد، فقد اختار الشاعر الكلمات المناسبة لحال التهنيئة في هذا البيت.

ونجد الصافي الجلي، يستهل قصيدته التي قالها في حماة مُستمّتا فيها قصيدته ابن زيدون بقوله:

كان الأَرْمَانَ بِلُعْقِيَاكُمْ يُمْتِزُينَا
وحادث الدهْر بالتفريق يُثْبِتِنَا
أنصضي التنائي بديلاً من تدانينا
فَعَلَّدَما صَدَقْتُ فيكم أمانينا(5)

وباب عن طيب لقِيّانَا تَجافِينَا(6)

وقد راعى الشاعر الحال، عندما تحدث بصيغة الماضي عن الغرائق وقدّم اللقاء على التفريق، وطابق أيضاً بين اللقاء والتفرقة ليدل على تغيير الحال.

ويؤخذ عليه المطلع الغزلي، الذي بدأ به قصيدته في مدح الأفضل، عند تسلمه ابن شباتة: المديون، ص. ١٣٨، الصافي: المطلع الغزلي، الوسيط ص ١٩١، فَغَزَّتَ نعْزُ من الأسر، كنًّ
(3) إنشائي، الوسيط ١٩٢
(4) المصادر نفسه، ص ١٣٨
(5) الصافي: المديون، ص ٢٦٨
 зуб حماة، بعد وفاته والده، فإن المطلع لم يكن يتاسب حال الأفضل، وما كان عليه من انتظار وخوف من أن لا يوافق الملك الناصر على توليّه الحكم في حماة. حيث نراه يقول في مقدمة غزلية:

عائدة في الحب أعوانٌ
وخانة في الربٍّ إخوانٌ
مُتمّطين ليس له ناصـر
أجاد في قصيدة عزى بها الأفضل، عند وفاة المؤيد عندما بدأها بحكمة.

وبين أن لا بقاء لأحدٍ في هذه الدنيا، حيث نراه يقول:

خفص هموسك فالحياة غـرور
ورحى الأنون على الأناّم تـدوز

ونجد أيضاً المطالع الغزلي، التي تبرزت بالفضة، والعبارات ذات الوقع الجميل، كما ورد في قول الشهاب الحاجبي:

عما جرى من أنْمُعُي لا تسألوا
قدِمّامٍِ أخبارها تُنسـسلُ

وقد يكون المطلع خالياً من الجزالة، ليس فيه حرارة الشعر، فيغدو مجموعة من الكلمات الوزونة، كقول الصفيّ الحلي في قصيدة، هنا فيها الأفضل بعد النصر:

زمن الريـسع
شـباب الزمان
وخسن الوجود
وجود الحسنـان
وأمن البيـعض
بَلْوَغ الآمـان

ويستحسن لنا الفرق بين هذا المطلع، ومطلع آخر للشاعر نفسه في قصيدة رثاء، للملك الأفضل، دلّ على مقدار الحزن والألم الذي شعر به الحلي، وتقال شعرًا:

ما للجبال الوُضبِيَّات تَسـَبِّر
افان بَغَتْ للُؤوَرِ وَخُشـوـرَ

المصدر نفسه، ص. 38
المصدر نفسه، ص. 32
ابن حجة العمري: خزانة الأدب، ج. 3، ص. 2.2
المصدر نفسه: الدبّوان، ص. 30
المصدر نفسه: الدبّوان، ص. 38
وعبر الشاعر عن حالته بالإستفهام، والتهويل لعظم الصيبة وشدتها. وتطالعنا أيضاً
بدأت لقصائده تميزت بالخفة والحركة مثل قول ابن نباته:

بدأت في رداء الشعر باسمة للغفر
فعونتها بالشمس والليل والفجر (11)

وقوله في قصيدته التي عارض فيها أسعد بن مماتي:

أفي قمر عظي قمر
ثم غمّر لا غمّر
فلا ورّر ولا مقصر
يا من شهر سيئ النور (12)

والعنصر الآخر في بناء القصيدة، هو القدامة التي تأتي بعد المطلع، وتسبق الفرع الرئيس للقصيدة. وقد تنوّعت هذه القدائم في عهد المؤيد وابنه بين القدامة الفعلية التي احتوت على نوعين من الفعل: فعّل الفعل والفعل المстоّ، إلا أن الفعل الفعل المstoّ غلب على قصائدهما، أو وصف الطبيعة، والهيئة، والحركة والوعرة، ووصف الخضر والساق والسهّابة. وأكثر قصائد هذه الفترة وهي في عهد المؤيد وابنه، تبدأ بالفعل، إلا بعض قصائد في الرواة، وعلى الرغم من أن الشعراء حافظوا على تقليد القدامة من البدء بالفعل، إلا أن هذا التقليد لم يكن حرفياً، فقد تغيّرت مفاهيم كثيرة عندهم فلا وجد وصفًا للثانية، ولا الرحلة، ولا عنة السفر.

والفعل الفعل المstoّ نوع من التقليد، الذي شاع في هذا العصر، وإن عرف عن بعض الشعراء، اقتناء الفلمان، والولع بهم، ومنهم صفي الدين الخلي، الذي عرف عنه اقتناؤه للفلمان وشفاه بهم، حتى التوسل والبكاء لغزائهم (13).

ويقول متفاوتاً بأحد مالكية الأفضل عندما جاءه يحمل هدايا منه:

مولع الرك وكيم من كمكد
مُعَتَّر القد عليه كَمَنْه
فهو بها كالألف المشدّد (14)

ابن نباتة: الديوان، 198. (11)
المصدر نفسه، ص 12: أسعد بن مماتي: روزج وأبيه، كان ناظر الدواوين بصمر، توالي عليه، ومن كتبه
قوائده الدواوين، ديوان شعره، ولد 1449ه وتوفي 1676ه (الأعلام، الأزكرلي، ج1، ص 102). (12)
باسين الآدبي: صفي الدين الخلي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1971، ص 323. (13)
قال الجوسي إنْ نُورُ نَارِهِمْ
ومنه قول عمر بن العدي في عطار:
أهور فثناي كحور الجنمان
بي عمرة منه فيها لينَتُه
لو جاء لي يوماً بما اللسان (16)

ومن الغزل المؤنت قول ابن نباتة:
صدّورك يا مياء عنيي ولا البعد
إذا لم يكن من واحد منهما بعد
بروحي من لبيء عطف إذا زها
على النصر قال الغصن ما أنا والقد (17)

ونجد المقدمات التي يصف فيها الشاعر الكأس، والشراب، ومجلس قادمان، ولعل هذا تقليد عام، كما سبق، لأن المصادر لم تذكر للمؤبد وأنه الأفضل، مجالس خمر وشراب. ومن هذه المقدمات، قول الحلي:

زوّج بعمر الحيا السلسل
عروساً من الخمسن
أثريها معتقناً
وثبتت العقول
بستها الكؤوس
إذا ما سبتت
تشهد كلاً من
المتحب موسى (18)

ويقول ابن نباتة أيضاً:
فالتماس من فضة والرواج من ذهب
أخت المسرة والله أربعة الجنسيين
عوض بكأسك ما ألتقت من نشب
وأختب إلى الشرب أم الدهر إن نسبت
غراء حالية الأعطاف تُخطر نفسٍ
ثربٍ من الدُّور أو عقدٍ من الحَبِّ (١٨)

وقد تكون المقدمة في الدعاء كقول الصَّديق الحلي في الملك المؤدي:
جوّاك اللَّه عن حسنَاك خيرًا
وكان لَك المَهْمَين خيرٌ راعٍ
كما طُولتَ بالإحسان لَغظي
فقد فَصَّرتُ بالإحسان لَغظي (١٩)

وحسن التخلص من مقومات بناء القصيدة، ويكون بالانتقال من جزء إلى آخر في القصيدة، مع مراعاة ربط أجزاء الكلام ببعضه، بطريقة تجعل القصيدة منسجمة في نسجها وألفاظها، وليس فيها انقطاع بين أجزاء الكلام.

ومن التخلصات الجيدة في شعر الحلي، الذي قاله في الملك المؤدي حسن تخلصه، في إحدى مشاهداته، فقد أحسن الانتقال من الغزل إلى المديح، يقول:

بشعري فهو حضرات الجلِّس
وُفَكَّهَة المُفاكِه والمُفَالِس
أما قال السَّدِّي
في الحسن رَيءٌ
ومن وُجُد السَّدِّي
فُبِّاد تَقيٍّ ريءٌ
المَلِك المؤديٍّ (٢٠)

فجعل الندى الذي ينفرد به، هو حمى الملك المؤدي، فأحسن ربط المقطع بما سبقه.

وقوله أيضًا في قصيدة أخرى يُمدح بها الأفضل:

قد كَلَّت بالذر تيجانٍ
والأفق حال بنجوم الدجى
كأنَّهما الجوهران فيه، رقيِّد
قُحِّها البدر وكَيوانٍ
بِلِ الملك الناصر أركانٍ (٢١)

فقد انتقل الشاعر من الوصف إلى المديح، عندما ربط التشبيه في البيت الثاني

ابن نباتة: الديوان، ص١. النشيد: المَلَك، المَقْفَر: الوسيط، ج٢، من١٨٢. développement،
الوصفي الحلي: الديوان، ص٢١٩. الصدر السابق نفس، ص٢١٨. الصدر السابق نفس، ص٢٢٣.
بالبيت الثالث.

ومنه قول ابن نباتة، عندما تخلص من الغزل إلى الجنه يسلوب جميل، عزز فيه الشاعر البيت الذي يليه بالمعنى:

أهوا لورد فوف خذلة أحمر
إرث السماحة في بني أيوب
ولواحظ ترت الملاحة في الطبا
واتت بحارهما بكل عجيب

وقد ختمت القصائد بنباتة تناسب الحال، من حيث طلب السقية والدعاء بالبقاء في كثير من القصائد، ومن ذلك قول العلي في إحدى مداش المؤيد:

فلا أرثنا الأيام فيسحك ردي
ولا أسفها عن حاسم حزنها
تعيش في الذل عيشة خشينة
وبرع الله حاسدي لكي

وقول ابن نباتة في المؤيد أيضاً:

سقايا لذنبك لا كنت بخانيسة
فيها لديك ولا وصف بأفكار
من كان في خيقة الإفانق يمسكها
فانت تشعفتها من خوف إمساك

الصورة الشعرية:

وتشمل الاستعارات والكتابات والتشبيهات، لما لها من دور كبير في إعطاء العمل الأدبي شعراء ونشرًا، ميزة تجته محبياً لأنه يحتوي من الصور الجميلة والتشبيهات الرائعة، ولبلغة وتمكن من أداء المعنى. وقد ورد عدد كبير من الصور.

ابن نباتة: الديوان، ص. ٣٢، انطبها. ٥٣٦.
الصوفي: البكاء: الديوان، ص. ٣٢٣.
ابن نباتة: الديوان، ص. ٣٢١.
الشعرية في أشعار شعراء المؤيد وابنه الأفضل، منها ما هو تقليدي، ومنها ما هو تجديد. ومن الصور التقليدية تشبيه المندوه في جوهره وكرمه بالصحاب، على نحو ما نرى في قول الصوفي الحلي:

سَعَابٌ جَوْرٌ على الْوَرَى فَطَلاً لا يَبْقِ مُبْتَيِّ، الْتَـثْوَالَ ولا حَمَّامَةٌ أَصْبُحْتُ للانَا مِهِ خَلْبٍ حوَيْت مَلِكًا عَلَى المَلْكِ سَمَا

بُحَرًا فَنَا بالعَلَوْمِ مُلْتَطَمَّـا (٣٠)

فالندوه بحر وصحاب، وهي صورة مانيئة، والحوببة غزالة خفيف رشيق، والقدّ غصن ليين، والوجه هلال وبرد، يقول ابن نباتة:

يا غَرَّالَا رَنٌّ وغَصَنًا تَكْشَـٰبٍ وهِلاً سَما وبردٌ أَتْتَـٰـا (٣٨)

ويأتي الحلي بالصورة الفلكية للجوازات ليبين مكانة الملك المؤيد:

كَانَتُ الْجَوْزَةُ فِيهِ وَقَدَتْ حَقّ بِهَا الْبَدْرُ وكيوَانَـٰـه

بيت بني أبوب إذ شُيَّدَتُ بالملك الناصر أركانـ(٣٧)

فالجوزا في السماء وضوؤها الساطع وتحيي بها النجوم ككل الملك الناصر الذي هو نجم بني أبوب.

ومن الصور الجديدة أن الشاعر لا يصف جمال عن الحوبب، وإنما أقرب شيء إليها وهو الحاجب، والخد ليس ورداً وإنما نار تصلى الحب:

وَعِينَكَ قد فَوَّقْتِ اسْمٍـاً فَمَنْ ذَلَّـِهِ عَلَى مَتْـلاقي ويمركَ يُجَذِّبُهَا يَمِلُـّـي وَخْذَكَ مُوْقَدًا نَسـاـةـأ (٣٨)

ونجى ما سمي بالتشبيه المقلوب، فالندوه الذي كان يشبه بالصحاب في أبيات الصوفي الحلي: الديوان، ص: ٣٨٤.
ابن نباتة: الديوان، ص: ١٦٠.
الصوفي الحلي: الديوان، ص: ٣٢١.
المصدر نفسه، ص: ٣٢١.
سابقة، أصبح السحاب يسبح به في الجو والغطاء، على نحو ما نرى عند ابن نباتة
في مهد الأفضل:
وابنه ما للسحاب مثل بذار
وانظر إليها إذ تغيض ونشاب (21)
ما سمعت بالسحاب إلا أنها في أنفها من خجل تفسح (23)
والبحر يسبح بالمدوج، في الكرم والعطاء، يقول الصافي الولي في المؤيد:
ملكة لان البحر تشبيهة
لاصبح البحر باحلا سفته (22)
وبن الصور الجميلة لكرم المدوج، قول ابن نباتة:
لا يقرب الصغير قلبي أريقاره
كأنه المال في كف ابن أيوب (21)
ثمها قوله أيضاً في المؤيد:
هاجر حرف لا إذا سبتل الجود
وصورة جميلة أخرى، عندما أتى الصافي الولي بتشبيه سرعة انتشار ذكر الأفضل،
يقول:
فانظر إلى زهر الرياض المغلى
إذ جادة دم السحاب الستي
يضوع من شدة عرف المنبل 
كأنه عصر الملك الأفاضل (23)
إذا طلوا الورد في الأرض انتشر
فهذه الأزهار جميلة، ذات الرائحة الزكية، تشبه ذكر الأفضل في سرعة انتشاره
الذي تسير به الروبان.
ونجد في القصائد التشخيص، وثث الحياة في المعاني المعنوية، مثل: الغخار

(21) ابن نباتة: الديوان، س. 249. تغيب: غاية الماء، نزل في الأرض وغاب نبئها، الوسيط، س. 668.
(22) الصافي الولي: الديوان، س. 211.
(23) ابن نباتة: الديوان، س. 246. تغيب: البيك: الغبار، الرياح مطلاة، وأكثر ما يتعمل في الطيحة منها.
(24) المصدر نفسه، مره.
(26) الوسيط، س. 569.
والسُيد، كما في البيتين التالتين كما نرى في قول الحلي:

من أن أيوب الذين أصبحوا كواكبًا بها الأنام تبتُدئي
من كل خلاف اللواء لايسس
ثوب الفخار مغززاً بالسودر (24)

بل إن السماح قد قضى شهيداً لولا وجود الأفضل، يقول الحلي:

ولولا وجوده كان السماح تحت الصفات والجَنُود (25)
وعناصر الطبيعة أيضاً تتكلم وتنبث فيها الحياة على نحو ما نرى في قول ابن نباتة:

والأرض ناطقة عن صنع زارتها إلى الورى وعجيب نطق حرساء (26)

بل إن ابن نباتة، بتُد الحياة في أجزاء الكلمات، وهي الحروف تجعلها تقوم بما يقوم به البشر، من ركوع وامتنان للملك المؤيد، يقول:

رَكَعَت لذِكرِهِ الحروف فلم تَكَّدُ تنْبَيْنُ الألفات من دالاتِهَا (27)
والدهر أيضاً هو جَمُل، يَجِمَع على الليالي بهمومه وما يحمله من حوادث، يقول ابن نباتة:

اهْتَ لِذِكَرِ ليل ما قَفِطتْ لهَا حَتَى انْتَخُّ عليها الدهر فانتزحت (28)

وقد استفاد الشعراء، من المصطلحات اللغوية في التجهيز والتشخيص على نحو ما نرى عند ابن نباتة:

لاَمَ المُذَٰلِر أطْائَتْ فِيْكِ تُسْبِيدهَ (29)

المصدر: المديون، ص 246.
المصدر نفسه، ص 244.
ابن نباتة: المديون، ص 26.
المصدر نفسه، ص 47.
المصدر نفسه، ص 97.
المصدر نفسه، ص 134.
وقوله:

لا تجعل اسمي للغذال منتصباً
فما لتعريف وجهي فيك تنكرُ (٢٠)

واستخدم ابن نباتة معلوماته الفلكية أيضاً في مدرح المؤيد.
تغيب رُبُرُ الدوار وهو لم يغيب
والثمانية على كبوان بيت على
وبالجرة مذهوَّة على طنْسِبٍ (١٦)

بِيت من الفنْن شامِع على عمّر
وقد استخدم الشعراء الطبيعة في تكوين صورهم أيضاً، يقول الحلي:

فقدًا الأصلي وطيب شربه
رمائه المرسَل المُجِرب
والفلك فوق لجِه كانهُ
معارب تدّبُّ تفوق مسرِر (٢١)

وقد رسم لنا ابن الحديم لوحة فنية جميلة تزخر بالحركة والحياة وجمال الطبيعة.
يقول:

كان وجه النهر إذ حفت به
ANGES G A نصافحته الأغصين
يخضرن فيها أيهم أحسنٌ (٢٣)

وقد اتبعت ابن نباتة:

يتمشى كَامّة الفصى السيدة
وينغطر كالظبيبة الأمهام (٢٤)

كما استعد الشعراء بعض صورهم الشعرية من التراث العربي، والأمثال، والحوادث
التاريخية، والدينية، ومنها قول الحلي:

إن ذكر العلم فنفَّماشة
أو ذكر الحكم فنفَّماشة (٢٥)

---
(١٦) ابن نباتة: الديوان، ص ١٨٤.
(١١) المصدر نفسه، ص ٣٣.
(٢٢) المسند الطيبي: الديوان، ص ٢٢٢.
(٢٣) المصدر نفسه، ص ٣٩٨.
(٢٤) ابن نباتة: الديوان، ص ٤٤.
(٢٥) المصدر نفسه، ص ٢٢٣.
قول ابن نباتة:

جاجر الحكمة نلتبه لي صخر

وينا إلى يكاء خنسااءٍ

وقول ابن نباتة:

أنسني ندى هرم وباس شبيب

ملك بنائي سطوه وتواييه

وقول الشهاب محمود:

من حاتم يوم القرى والمزدا

ومن لحن في الحلم ذغ ذكره

ولا تنس قسنا به في إيمار

وقول ابن حماد الذي استخدم مصطلحات فقهية في شعره، حيث كان مفتنياً:

يتلو الملاء على سمعب فيكذبته

قلب بناة على ما قد رأى بصر

ومن الثقافة اللغوية، قول الحلي:

ورفع طوالا عرفت برسامها

واختل في بحث إن واسمتها

وخلقت من ذكر كان والخبص...

وموضوع التعريف والتفكير في النحو ياب كبيّر تطرق إليه الشعراء، يقول ابن نباتة:

لا يجعل اسمية للعوداء منتصب

فما لتعريف ودى فتك تذكر

والثقافة الشعرية تحدث فيها الشعراء وطموحها لأغراضهم، يقول الحلي:

ابن نباتة: الديوان، ص 41.

المصدر نفسه، ص 42.

النسفي: أميان العمر، ص 132.

المصدر نفسه، ج 25.

العلي: الديوان، ص 328.

ابن نباتة: الديوان، ص 185.
لا تَنَكَ السَّعْرَ للمُحاوِلِ صَغِيبًا
ما أصبَح من دونه البعوت بِتَفَقَالٍ (28)

قوله:
بَيَّتَ بِنْهَيٍّ نَبِيًّا إِذْ شَيَّدَتُهُ
بَيَّتَ أَبِيَّ نَحْرًا وَفَقَرٌ
قد سُمِّيت في الجَهَّز الأُزْرَانِ (29)
والثقافة العربية بما فيها من حوادث تاريخية واجتماعية ودينية استمد منها الشعراء صورًا كثيرة، على نحو ما نرى عند عليّ:
والرياح تجري رخاء بين جدولتها
والطير بين بناة وغصوص (30)

وقول ابن حمّاد:
بِجَانِبٍ خَذَّتْ أَنْسَتْ نَسَارًا
وَلَكِنِّي وَجِدْتُ بِها ضَلَالَةٌ (31)

وقول الشهاب الحاجبي:
وَفَعَلْتُ بِي مَا يُسَرُّ عَوَازَلَي
ما شَنْتُمْ يَا أَهْلٌ بِدِرَ فَافْعَلُوا (32)

وقوله:
وَبِأَيْدٍ ذَكِرَ الْجَنَّةَ وَالْمَرْأَةَ فِي الأُخْرَى، يَقُولُ الْحَلِيّّ:
فَمَنْ تَقَلَّ عَنْكَ نَفْسٌ يَتَمَلَّها
وَالكُؤُرَّ العَذَبِ رَقْوَاً وَغَلْسِينٍ (33)

وقد ضمّن الشعراء في أبياتهم من أشعار شعراء آخرين مثل ابن نباتة، الذي:

الشاعر: الدكتور، ص. 2816.
المصدر نفسه، ص. 32. رحى: المربع اللّبّة، المسنون، مادة (زخارف)، ص. 326.
المصدر نفسه، ص. 32.
المصدر نفسه، ص. 32.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
المصدر نفسه، ج، ص. 262.
المصدر نفسه، ص. 242.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
المصدر نفسه، ص. 326.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
المصدر: نظريات، ج. 3، ص. 259.
يا تالي الغلال كتبًا في لواحيه.

(السيف أصدق أنباء من الكتب) (10)

وقوله من شعر طرفة:

(وطلبته بالأخبار من لم شَعُرُونَ)

(فيها عن اللمة)

(فَسَمَّىُ بارقًا قد خولتُه وَلا شَغَفُ)

(إحولة طلال بُرقةْ ثُمَّمَـ)

وتظهر أيضاً مناصر اللون والحركة في أمثال شعراء المؤيد وابنه الأفضل، على نحو ما نرى في قول التلي:

يربُك من عارضته وفرَّقهُ

(عددين قد زاداً غليلٌ جَمَـهُـ)

فذاَكْ خُطَّ أسْوَدَ في أبيض

(وذلك خط أبيض في أسود) (11)

وقول ابن نباتة:

فَمَا يَصْدُ بِكَما والحَالَ دَافِعَةُ

(عن شرب فائقة للهم صغراء)

وعنصر الصوت في قوله أيضاً:

فرَجَعت صوَتَ نَماذُ وفاَقَ عَاءِ

(وسَكْراً أحيطت نابري المدام به)

وقول ابن طرطور:

تَبْهَّب بالسَجْع فشي الأوراق (12)

(وتلقي السجع في الأوراق)

وقد يجمع الشاعر أحياناً بين أكثر من صورة، كقول الجلي:

وَتَنَاجِم الأزهارُ مِن مَنَظَـمٍ

(وتنافم الأزهار من متظَـمٍ)

على شواطئِ ومن مَنْضَمِد

(من زهر مُفتَحٍ أو عاصِمٍ)

مَرْتَح أو طائر مَفْنَمـٍرٍ (13)
وقول ابن نباتة:

في اعتدال ومهيب يعي، قهر
...
وقول الحنفي:

كما فأما الأيوبي الذين أصابوا
...
من كل دخالت اللواء لا ينس
...
من مجهد محبب محسن
...
فقوله، وقوله: وقوله
...
وأحيانا أخرى ترد أبيات طويلة في سمف شىء واحد، مثل رصف هلال العيد عند ابن نباتة. حيث حاول الشاعر حشد مدد كبير من الأشكال لوصف هذا الهلال ولعله نوع من الحنوى على شكل هلال. فهو مدية قوس، وأخرى مصلب نسر، أو متشاب، وخشوج، وراحع الظهر، وزورق:

كان كن هلال العيد في بهذة
أو مخلب مدم نسر السماء لهم
أو خشوج مصرف الحماء ممطورة
أو مصلب بأودع الفضاء متمسط
إلى جواب ابن أبوي الهادي
أو راحع الظهر شكراً في العلم على
أو زورق جاً فيه العيد محدداً
أو لا فعل شقة لكلك ماتئلة
ما محيو و هو من شوائل مختصور

(15)
الصورة البديعة:
وتشمل الصورة البديعة: الطباق، والجنس، واللورية، وغيرها من ألوان البديع. وقد اهتم الأدباء في حماة وفي ظل الملك المؤيد في هذا العصر (المملوكي) بالصناعة البديعية كثيراً، وأصبحت مقياساً لإبداع، ولنها فقد أكثر الشعراء منها في قصائدهم.
ومن الألوان البديعية التي ظهرت وأصبحت منهجاً واضحاً لكثير من الشعراء: الجنس، ومن الكتب التي اهتمت به كتاب "جناك الجنس" للصوفي، ومن صور الجنس التي ظهرت في عهد المؤيد وابنته الأفضل، قول الخليّ الذي مثل هذا النضج:
لا راجع الطرف باللقاء وسنته
إن ذاك مُعَمِّضاً من بعيدك وسِنَته (٤)
وقد قال هذه القصيدة يشتر كهذا الملك المؤيد الذي اقترح عليه هذه الصناعة. ولا يخفى الجنس هنا بين وسَنَته وسَنَته. ومن الجنس أيضاً قول الخليّ من مرسى اقترح عليه وزت الملك المؤيد، حيث اهتم الخليّ بالجنس كثيراً، ولعل هذا الاهتمام يعود إلى تمكن الخلي من شعره وقدرته على الموافقة بين الوزن مع ادراج النطاق المناسب:
تُراه نايفاً في جنبيّ كاتِس
أحوى أصوْر
الحادِق أوَّل
نكاد خُطْدَودٌ
ما منه تُمَّأ
الروض ّيَُحقُّ
وفذَّر أن ذاك
غداً للوزن في دينه غَفَّار
وطلبه بسيف اللحظة حاَرِسٌ (٤)
ويظهر الجنس هنا بين كاتس، وأحَى، وغارس، وحارس، وأحوى، وأحوى،
ومن الجنس قول ابن نبهان في مديح مؤيدي:

---
نصفي الخليّ: "الديوان"، ص. ٢١١
التصدر السابق نفسه، ص. ٢١٣
من معيتي على رشأ صبرت من ما دموعي عليه مثل الرشاءٌ (5)

وقوله يمدح الملك الأفضل:

مسلسل الذكر أسرى الغيود
يهم بالذكاري في ألف واد (6)

وقول الشهاب محمود في قصيدها التي مهده بها المؤيد:

ميهاد صبري وس核وي المعدد
فاريخ أمراء يسنده طول البعاد (7)

والجنس في الأبيات السابقة بين رشا ورضاء، والغواد والولف واد، والمعاد والمعد.

والأمثلة على الجنس كثيرة جداً في قصائد الشعراء الذين قدزوا المؤيد وأبنه الأفضل، فقد كانت السمة الظاهرة عندهم في ذلك الوقت استخدم الجنس كثيراً.

ومن الجنس قول الشهاب محمود في قصيدة طويلة مهده فيها الملك المؤيد بمناسبة عودة المعركة بعد نزاعها من عام 1267 هذ ينطبعة المؤيد في كتاب المختصر القائم على الاحتراس جعلته يثبت لنا من هذه القصيدة ثلاثة أبيات فقط، يقول الشهاب محمود:

بلك ترهى مواكب وأسيرة
لللأماني تجني ثمار المسيرة
وياكم التي هسي روض
قدرها عاليما وكيف المغيره (8)

وقد ساعد الجنس الإيقاع والموسيقى في هذا البيت وأفاد في إعطاء البيت المعنى المراد، حيث جانب الشاعر بين العروض والضرب في هذا البيت.

ومن الجنس أن ينتهي الشاعر عدة أبيات بكلمة واحدة، إلا أن المعنى يختلف، وهذا من ذكاء الشاعر وروشته اللغوية التي ساعدته في الإفادة من الجنس في إضفاء

ابن نباتة: الدبيزان، مرن.

(5) تدل نبهة: الدبيزان، مرن.

(6) مرن من نباتة: الدبيزان، مرن.

الأديان: أميان في المصر، ج.1، ص.168.

(8) أبو الغد: المختصر، ج.4، ص.79.

(20)
الرشاقة والمذوبة على قواميه، ونجد عند الطلی في أحد موسِّحاته، يقول في مذهب المؤید:

**ملیک هو الیث يحس椰 حمید‌ها**

**إذا ما أناه تزیل حمید‌ها**

**سلیل الملوك الكیما الحمید‌ها**

**ملوك بما ظل وادي حمید‌ها**

یطول فخاراً على الأعمران ویسمو على السیمیر (۷۲)

ومن الفتحن في هذا اللون البديعی أن تكون القصیدة كلها تحتوي على الجنس بين آخر كلمة في العروض وأخر كلمة في الضرب. ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل إن الجنس يأخذ بعداً تغویاً، فتكون الكلمة في الشتر الأول على وزن فاعل، والكلمة في الشرط الاین على وزن فاعل، يقول الخليف في الملك الأفضل:

لا زال سعیدك دامیه

وتحور ضدك دامیه

وعدل ملکك هامیه

وسیاب جودك هامیه

وحسود فاضلك سامیه

وسبدر جنک سامیه (۷۳)

ويبقى الجنس على هذا النحو حتى آخر القصیدة.

والجنس هو أكثر الأنواع البديعیة استخداماً في شعر شعراء المؤید الذين أکثروا منه، ونوهوا فيه وتفتحوا، بهدف الرقة والمذوبة حیناً، أو إظهار البراعة حيناً آخراً، أو التصريع في تقاساهم. ويشبه هذا النوع من الجنس الذي يمكن أن نسميه الجنس المکوس ما أتبعه ابن مقاتل في أحد أزجاله حيث ينفي كل بیت بشطر من الزجل يحتوي على كلمتين متناسقتين معکوستين، وقد التزم بهذا حتى نهاية زجله (۷۴).

---

(۷۲) الطیب: الديوان. ص۶۳
(۷۳) المصدر نفسه. ص۳۳۱
(۷۴) ابن جهان: الغزاة. ج۱. ص۹۱.
الثورة:

الثورة كالجناس، فقد كانت مجالًا يظهر الشاعر من خلاله قدرته الشعرية على التلاعب باللغة، ويฤด للشعراء بعض الغموض والإبهام، بل إنه استخدام الغنون البديعية كان علامة الإبداع في العصر المملوكي، ومثل مذهب الثورة القاضي الفاضل (37)، وتبعه من الشعراء ابن نباته الذي سار على منهج الفاضل حيث أكثر من الثورة في شعره. ومن توريات ابن نباته:

قلم يزهو بملة كحلاصم
علماني الجنون بالسوداء (38)

والثورة هنا في كلمة السوداء، وهي سواد الجنس، وهذا المعنى الأول، والمعنى الثاني قصد به الشاعر السوداء وهي نوع من الصرع يسمى بالعامية سويدة. ومن توريات فرده على مكتبة للملك المؤيد:

فخذيك من ملك نكاتب عبده
بأحره اللاتي حكيتها الكواكب (39)

فنا أنا عبده رقيق مكاتب (40)

والثورة في عجز البيت الثاني في كلمة مكاتب، فهي تعني اسم المفعول من الفعل كاتب، وتعني مصطلح المكاتب وهي التي تتمن بين العبد وسيده ليصير العبد خراءً.

بالاتفاق على دفع مبلغ من المال (41).

وقول الخليفة في تبنته الأفضل عندما تكون حكم حضرة:

زكأتم قربان إيمانك
ب وركذي الغير إيمانك
من يك إسماعيل أصلًا له
لا بد أن يقبل قربانك (42)

ابن حجة: الخزانة، 2، ص 25 وما بعدها.
المصدر: 3، ص 164.
المصدر نفسه، 3، ص 164.
ابن حجة: خزانة الأدب، 3، ص 142.
المعلي: الديوان، ص 222.

(37) (38) (39) (40) (41) (42)
والثوروية في كلمة إسماعيل، فالمعنى القريب هو الملك المؤيد إسماعيل وما كان يقدمه للملك الناصر علاقته به التي جعلت الناصر يقبل ابنه وريثاً له في حماة، والمعنى البعيد هو القربان الذي قدمه سيدنا إبراهيم عليه السلام لغداء حياء سيدنا إسماعيل عليه السلام.

ويشير ابن حجة إلى ندرة ورود الثورية عند الحلي بقوله: "إن الشيخ صفي الدين كان أجنبياً فيها - يعني الثورية - ولنها لم أنظمه في سلك المجاعة الذين مشوا في نظم الثورية تحت العلم الفاضلي والعلم النباتي، وتعرض إلى الثورية في بعض المواضع، ولكن سيبكى في غير قوالبها لأنها لم تكن في طباعه" (81)، ومن تورياته:

«أطعَّتَ داعٍ الهدى رفِّعاً على العاصي لما نزلنا على ناعورة العاصي (82)»

حيث تُحَل كَلَمة العاصي الأولى معنيين، الأول الشخص العاصي، والثاني اسم النهر.

ومن توريات ابن نباتة:

ما لى علي عَشِقْتِه تَصَمَّرَه

هلَّفَت تَعَرَّفَ من جَفَرْه (83)

والثوروية في الشطر الثاني من البيت، والمعنى القريب هو أن هذه الفتاة خجولة تغضَّ بصرها عند روئيتها، والمعنى الآخر البعيد هو أن من علامات الثانثة خاصة جمع المؤنث السالم في حالي الجر والنصب في الكسرة.

ومن التوريات أيضاً قول علاء الدين غانم:

حماة في بَعْضِها جَنْسَة وَهِي مِن الفُضْلِ لنا جَنَّة

81
82
83
84
85
86
87
ولا تباين من رحمة اللّه ـ قد أبصّرُتُمّ العباسي في الجنة (٤٤)
والطريقية أيضًا في الشطر الآخر من البيت الثاني، والمعنى الغريب هو أن الشخص العباسي قد تشمله رحمة اللّه في دخُلَه الجَنَّة، والمعنى المقصود وهو الذي أراده الشاعر هو أن النهر العباسي موجود في حماة التي هي كالجنة.

الطباق:

والطباق وسيلة لإظهار حسن الأشياء التي يظهر جمالها بوجود أضدادها، وهو في الشعر نوع من التنويع الموسيقي في كلام الشاعر، ولدالة لتغيير الحال والتمييز، والطباق يكون في الأسماء أو الأفعال، ومن الطباق قول الحلي في شكر المؤيد:

دَعَيْتُ الْجَانَّةَ فِي الْوَلَّدِ سَرْهُ عَلَّمَتْهُ (٤٥)

والطباق هذا بين كلمتي سر، وعلم. وقوله في أحد موسّعاته المدحية في الملك المؤيد:

فَقَلَّتْ عَلَى الْلَّهِ الرَّطْبَا كَلِبُ الْمَكَسَّرَ

أقبلت على للعمري ملايخيس

المدخ جاّزي

الأزعم الطني

وهل تجهزى الطيفة بالجبار

فلك في ارتيجالي وارتجالي

إذا قصرت فاللهمة الجبلي

فإنّي من فضاء الحق آشيّس (٤٦)

فُلَوْ نُظِّمْتُ مِن مَدْحِي نفاحي

(٤٤) النابلسي، ميثال الدين بن إسماعيل (ت ١١١٢هـ) الصوتية والتفاقم في الرحلة إلى بلاد الشام، (مخطوط).

(٤٥) تقديرًا وعهدًا: أحمد عبد الحكيم هرفي، الهيئة المصرية العامة للآثار، ١٩٨٨، ص. ٠٥، علي بن محمد بن سلمان بن حسن عاشور، شمسه، ج ٧٧، (أدب العصر، ج ٢٠، ص. ٢٤).

(٤٦) الحلي، الديوان، ص. ٣٢٦.

المصدر نفسه، ص. ٣٢٥. ٥٨
والطباق في الأبيات السابقة بين كلمة رطب، ويايس، وكلمة الحقيقة وكلمة الجان.

وقوله في قصيدة أخرى مدب بها الأفضل بن المؤيد:

ويا سيفُ لحظ من أحببنتُن
جَهَدَكِ عن سفكَّ دمي لا تَعْمَدِي
ويا غوادي عبرتي تَحَمَّدِي
ويَا بِنْوادي زفري تَصُقُّدَي (٤)ً

ومن الطباق قول ابن نباتة في مدب الأفضل أيضاً:

فلاهدين فريدة لَمَّا تَحَمَّدَهُ
أضحى بنيل نداء شعر مَفْرَداً
حَسْبَنِ ابن شاهُر بن يرانى للثناء
عبداً وحسبى أن أراه سِيَّداً (٤٩)

وقوله يمدحه أيضاً:

المُلكُ العَلَمُ نام السَّعْوَرَى
بِعَنْهُ وهو كثير السُّهَاد
ذو الجَوِّ في عَسَر وعسَر ومن
مِثلُُ ذوي التجربة في كل نار (٤٣)

ووجد الطباق في أبيات الحلي السابقة في البيت الثاني بين كلمة غوادي وبوادي، وبين الفعلين تحدي وتصمغ. أما أبيات ابن نباتة، فالطباق فيها بين كلمة عبيد وكلمة سيد، والفعل نام وكلمة السهاد، وكلمة عсер ويسر.

ومن الطباق أيضاً قول ابن نباتة في مدب المؤيد:

هذي الحمائم في مَنابِر أَيْكِهْسا
نُمَّلي الفُنِّي والطلَّ بكثَبٍ في الورَزَ
والقصب تَخَفِّضُ للسلام رؤوسها
والزهر يرفع زاهرى على الصداق (٤٩)

حيث طابق الشاعر بين الفعلين تخفض، ويرفع، ومنه قوله في مقدمة غزالة إحدى قصائده في الملك المؤيد:

تركيبة للقان ينسب خذَفٌ (٤٣)
واسبوري منه باحمِر قانٍ (٤٣)

المصدر نفسه، ص. ٢٢٣ (٦٧)
ابن نباتة، ص. ١٣٢ (٦٨)
المصدر نفسه، ص. ١٣٧ (٦٩)
المصدر نفسه، ص. ٣١٧ (٧٠)
لا يوجد نص يمكن قراءته بشكل طبيعي من الصورة المقدمة.

(1) حَدَّ يُريدُ تمتَعُّا وتلَهَّبَانًا
(2) ظُلَّوا اعتُقًا أهل‌العَنَادٍ
(3) حَسْنٌ بِهِ طَرِيقًا أَفُوَّتْ به القضا
(4) مثلَ الغزالة ما بَدَّ في مَشْرَقٍ
(5) وقد يكون البيت الواحد محتوىً على أكثر من مثال للطباق، مثله قول الخليّ في الأفضل:
(6) تلاقية في الحَرِّ صعب المراوسة وفي السلم ذا الخلّق الأسهل
(7) فالطباق بين حرب وسلم صعب المراوسة وسهل الخلّق.

لغة الشعر:
وتلخص لغة الشعر في السهولة احباً، والجزالة أحياناً أخرى، وتختلف لغة الشعر باختلاف الغرض الشعري، فالغزل تكون ألفاظه سهلة ورقيقة وعذبة، بينما يناسب شعر الملح أو الرثاء، أو الفخر الألفاظ الجزلة القوية.
ولغة الشعر في عهد المؤيد رابحه الأفضل، اختفت باختلاف موضوعاتها، فكان هناك:

الجزيرة والرصانة، والسهولة والذروة، إلا أن الصورة العامة هي السهولة وعدم التعقيد، وتوجّه اليسار والأثت في اللفظ الشاعر، ونهاية في التراكيب، وعلى الرغم من هذه السهولة في شعر العصر المملوكي، والتي كانت ناتجة عن صفة العصر بعامة من حيث غلبية غير العرب على أمور الحياة، وابتعاد العرب نتيجة اختلاطهم بغير العرب عن اللغة الفصيحة، وشيوع الكثير من الألفاظ غير العربية أيضا، فكانت السهولة في لغة الشعر مجيزة لغير العرب، ليستطيعوا بهذا فهم ما يقال من شعر ونحى. إلا أن التقليد للقدماء، والذي انتشر في هذا العصر من أجل التعبير عن التماسك بالتراث العربي، ساعد على الحفاظ على فضاعة وجزالة لغة الشعر.

ولعل تقبل الجلي وتس恶意 لقصيدة ابن زيدون النونيَّة جعله ينتمي الفاظه لتناسب ألفاظ ابن زيدون، كما أنه استطاع أن يمزج الألفاظ لتدري مميتة جميلة

وعندما ححرص بالتفرير يبنينا
كان الزَّمانُ بِلَبَそもそもه مُثَبِّتًا
العمي النائي بِيِبَيلًا من ثانيينًا
ونابٍ عن طيب سِقمان تاجيَّينًا
لكن الزَّمانُ بِلَبَそもそもه يسِبَيحًا
فَعِيدًا سُمِّيت فِيك فَرَائِيحًا

نَحَيًا إِلَيْكَ لَو جْفَت مَقْبَيَتًا (١٥)

وقد استخدم الشاعر هنا الألفاظ الموحية بالقوة والجزالة مثل التنائي، القرائها، البين والملقي، كما أنه استطاع أن يعبر عن حزنه باستخدامه للتسلسل المنطقي للأحداث، فهناك التعبير والهناء بعد العناء والعذاب، وبعد أن يستقر الحال بالشاعر يضمن الزمان عليه بوفاة الملك المؤيد فيتزوع هذا الهدوء مما يجعله دائم البكاء، ومن الألفاظ الجزالة أيضا قول الحي في سعد المؤيد:

الله: الديوان، ص ٢٥٩. (١٥)
ولو أُهِب الاصْحَابِ يُشِيدُونَ
أزال من سحْرٍ لفظِهِ كَتَبَةَ
(10)
فقد استخدم الشاعر المعني المعجمي لكلمة لحن، ولكن، والتي أعطت المعنى الدقيق لمَّا يربطه، ويدلَّ عليه من فصاحة ولغة المؤدي، فاللحن والكلمه في الكلام هي عكس الفصاحة والبلاغة.
ومن ألغازه الجزلة القوية التي عبر فيها عن جوانب شخصية الملك الأفضل، يقول الحليّ:

ٌعَنْ كُلِّ مُجْدَدِلِ القوام أَمْتُمْ
وُسْمُوَّةُ تَذِيبُ قَلْبِ الْجُلُّمَدِ
خلاصة تعري النسيم رقعةٌ
وفيْض جود كَفْهِ مِنْ عَامِسِرٍ
(19)
وتنكرى هذه الجزلة والقوة في شعر الحليّ في قصائده الطبيعة والرثائية، فمن قصائده التي رشي فيها الملك الأفضل يقول:

ٌفَإِذَا سَحَّرَ دَلَّ النَّصَارَرُ يَكْفِهِ
يروي حديث الجوَّد عنه مُتَّقِيٌّ
فَحَدِيْثًا بِيَنَّ الْوَرَّاءِ مَأْتِيُّ
فَمَنْ مَغْسَدٌ مَا شَكَّ طَابِعْ جَوُهُمْ
(20)
إنَّهُ عليهم مُحَصْرُ وسِرِّرٍ
(21)
فلا لم تكن هذه الأبيات للمليّ لقلنا إنّها لشاعر عربي قديم لا فيها من القوة التي تجعلها بعيدة عن بساطة وسهولة التعبير في العصر الملكي، فالطبياق في البيت الأول، والصورة الفنية في الشعر الثاني من البيت الأخير (أثنى عليهم منبر وسرير)، وما تشتمل هاته الكلامان من معان تفديت العلم والكرم والرفعة والصورة.

المصدر نفسه، ص 242.
المصدر نفسه، ص 381.
المصدر نفسه، ص 262. (22)
التقليدية للحساء، كل هذه تجعلنا نقول إن هذه الأبيات ذُكّت على المعنى الذي أراده الشاعر.

وفي قول ابن نباتة، نلاحظ التوافق بين المعنى واختيار اللفظ المناسب له:

وقدر الشاعر في بيتين من الشعر أن يُجمل أهم ما تعنيه به المؤيد:

له بدائع لفظ صاحبت كرمًا
كأنه نجوم ذات أنواء.
وأنمل في الوفي والسلام كاتبة
إما باسم نضوة أو بسعراة (١١)

ومن ثمما وجدنا الجزلة، نجد السهولة في شعر الغزل والتهنئة وفي بعض قصائد الدح، ومن ذلك قول الحلي في أحد مرشحاته الدحيّة في الملك المؤيد:

عماد الدنيا مغني كل باليس
ومن تغدو الأسود له فرايس
أبا ملكا حمامي
من زماني
أعطائي أمانى والأمانى
خفتت برفيع
شياني كل شاني
وشهدت العلالي والعاني (١٢)

فالكلمات كما نرى سهلة، واضحة، بعيدة عن التعقيد، ومعناها واضحة مفهومة. وتستطيع أن تكتبها نسراً لتعطي المعنى المراد منها، فلا نجد فرقاً بينهما نسراً وشعرنا. ومن ذلك قوله في مقدمة غزلية لقصيدة مدح بها الأفضل:

عاندة في الحب أعوانة
وخطاه في الردى إخوانة
مُنْتَمِيَ لِسُلَوُانَة
أمّا من عاده سلوانة (١٣)

والألغاز هنا سهلة، ذات جرس موسيقي مناسب للغزل. وقد اختار الشاعر البحر السريع، حيث ساعد في خلق الكلمات وسلاستها. وهذا ليس عجزاً من الشاعر، وإنما هو مجازاة لواقع الحياة الاجتماعية وما تقتضي من سهولة ويسر.

ابن نباتة: الديوان، ص١٠٨
الحلي: الديوان، ص٢٠١ ف.س
المصدر نفسه، ص٣٢٢ (١٤)
وقد يكون توجيه السهولة أحياناً على حساب المعنى، فينتهي الشاعر إلى الإهمام باللفظ ومن البديع، مما يجعل الكلام مبتذلاً، ومن ذلك قول الحلي في تهنيئة الأفضل بعيد الأضحى عام ١٢٨٤ه:

زَمَّانُ الزُّبَيْع شَبَابُ الزَّمَّانَ
وحَسْنُ الوَجْسُوَر وجَوْدُ الجِسْمَانُ
وأَنَّ البَيْتَ غَلَوْعُ الأَمَانِسِي (١)

ونجد السهولة والخففة أيضاً في شعر ابن نباتة، ومن ذلك مقدمة قصيدة مدحية في الملك المؤيد:

عَينِي إِلَيْها نَاظَرْتُ هُنَاءً
هَيَا لِهَا عَينَيْنِ عَلَى عَرَقٍ
فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِيَةِ صَدَرُ (٢)

حيث الكلمات السهولة والوزن الخفيف من مجزء، الكامل، والمعنى الواضح القريب من الفهم أيضاً. ونجد أيضاً في قصيدة أخرى لابن نباتة اقترح عليه المؤيد فيها معارضة قصيدة لأسعد بن مماتي:

أَفْدِي قُمْرَ عَفْقٍ قَمَّرْ
فَلا وُرَزْ وَلا مَقْبَلْ
يَا مِن شَهْرِ سَيِّفِ الْحُسُوْرُ
حَتَّى أَسْتَحْمِرَ وَهَجَ الفَكْسَرُ (٣)

فَنْحَنْ لا نجد صعوبة في نفظ الكلمات، ولا في معانيها، ويزيدها سهولة أئها من مجزوء الرجز وهو من البحور التي تغنى كلماتها بسهولة ويسر.

____________________

(١) انسفي الطلق: الديوان، ٣٣٤.
(٢) ابن نباتة: الديوان، ١٨٣، وفي هذا إشارة إلى قوله تعالى: "وجِّهَتْ يَوْمَتِ الْحَاضِرَةِ، إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةَ"، سورة القيامة، آية ٢٢.
(٣) المصدر نفسه، ص ١٨٣، وأسف عن معاني: وزير وآديب، كان ناظر الدواوين بمسير، وتوفي ببلب، من كتبه قوائين الدواوين، ديوان شعر، وله ٩٧٤ هـ، ٦٧، (الأعلام): الزرليجي، ج ٤، ص ٢٧.
ونجد التكرار كثيراً في شعر شعراء الملك المؤيد وأبنه الأفضل، خاصة وأن أكثر هذا الشعر الرسمي يتلخص في المجد والرثاء أو التهنئة أو الوصف، والتكرار في المعاني أحياناً، وأحياناً أخرى في الألفاظ حتى أن بعض القصائد لا يعرفها عن غيرها سواء الجمل أو الشعر، كالمدوك كريم وعالم، وهذا متكرر في قصائد المجد والرثاء والحبوبة غزال جميل كالفسن في التشبي، ومن التكرار النفي قول الصفي العلي في مدعه الأفضل:

اروع محسن العلاء أنيس
المؤمن الموحد ابن المؤمن المـ
السيد ابن السيد ابن السيد

والتكرار هنا لا يخل بمعنى لأن لكل كلمة مدلولاً خاص، فالؤمن الأول هو الأفضل، والؤمن الثاني الملك المؤيد، وكذلك الأمر في البيت الثاني.

ومن التكرار، قول الخليفة الوليد الأفضل:
ما للجبال الراسبات تمسرُ
أم زالت الدنيا فيذبح يدبـلُ
فتكاذم من حزن عليه تمسورُ

وغاية التكرار هنا ليعرب الشعراء عن إثر الخبير بوفرة الملك الأفضل بن المؤيد، ومن القصيدة نفسها يقول:

أين الذي كسب الكفانة بسقيـه
كالبحر ليس لصفو تكـدير

(1.1) مصادر نفس
(1.4) مصادر نفس
(1.6) مصادر نفس
لا يُطُوِّر الزَّمانَ وَذَكْرُهُا مَنْشُورٌ (٦١)

وقد ورد التكراز عند ابن نباتة في إحدى قصائده في الملك المؤيد، وذلك عند وصفه شكل هلال العيد في يد المؤيد، حيث رتب الحرف (أو) في أول البيت عشر مرات (٦٠٤)، وفي قصيدة أخرى في رثاء المؤيد كرر الشاعر لفظة (ما للندى) مدة مرات، وأداة التحمير (لهفي) ست مرات، و (أميزز علي) ثلاث مرات، و (هلآ) مرتين، وأداة التحمير (لهفي) ست مرات، و (كان) ثلاث مرات، و (سَنَّ) ثلاث مرات (٦٠٤)

وقد يختلف بلغة القصيدة الفصيحة بعض الألفاظ والقوالب العامية أو الأهمية والتي انتشرت كثيراً في هذا العصر.

ومن المفاهيم العامية التيستخدمها الشعراء قول ابن نباتة:

قامت قيامة قلبي في هواك فإن أسبت فن رُشد بالسمع إضائتي (١١)

فقوله قامت قيامة قلبي هو مصطلح يستخدمه العامة كثيراً في كلامهم وأوردو ابن نباتة هنا في هذا البيت.

والغالب في خراجات الموشحات أن تكون عامة إلا أن الملاحظة الجدير بالاهتمام أن خراجات الموشحات التي جاءت في أغلبها على لسان العلي وابن نباتة في عهد المؤيد لم يتحسينها الشعراء بخراجات عامة، بل هي فصيحة بعيدة عن العامة، مثل قول العلي في آخر قفل من موشح مديح في المؤيد:

عبد على قرن جَفْكَم جَبَهَتْي
عليكم إن قام أو رحَّلْ (١١١)

وقوله في خراجة أخرى:

________________________
العلي: الديوان، ص128 (١٠٧)
ابن نباتة: الديوان، ص: ٢٨١ (١٠٨)
المصدر نفسه، ص: ٩٧ (١٠٩)
المصدر نفسه، ص: ٩ (١١٠)
العلي: الديوان، ص: ٢٦٤ (١١١)
فلو نظمت من مداهي نفائس
فإنى من قضاء الحق أتَّسَ (112)

وقول آبنة صاحب حماة ويرجع صاحب شفاء القلوب أنها من بنات المؤيد:
ويقشر نهر دميسي وهي سائِل
بنشر اللفظ... من شغر تنظيم مُضْنُدُ

معانيه على الذُّر الٍّبيتِي تَبَسِّدُ (12)

أما الخريجة في الموضع الذي عارض فيه المؤيد موضع ابن زيدون فإنها عامة، يقول فيها:

واعد في بهجة مَجْدُودِه
مضى رسولى إلى مَعْدَبٍ تَبَسِّدُ
وقالت: تعال في عُجِل
لمزلي قبل أن يجي رجلٌ
واصبَد وُجُرٌ من طاقاتٍ
ولا تَخُفِ من جاراتٍ (114)

كما أن الأزواج أيضاً كانت قائمة على العاميَة كذلك، والتي كان إمامها في حماة علي
ابن مقاتل الحموي:

ومن العامية أيضاً قول ابن نباتة:

أسمع لأعبر أبيك سعَي طلالَ (115)

طولَ النهار لباب ذا من باب ذا
وقد ترد بعض الكلمات الأعمية أحياناً في أبيات الشعراء، ومنها قول ابن نباتة:

يا لها دمعة على الخد حمَّارا
بدت من سوداء في صفراء

فكتاني حملت (رئَك) بن أيَّو
ب على وجَّه لفَرط وراء (111)

وكلمة (رئَك) هنا أعمجية وهي العلامة العسكرية التي كان يضعها الأيوبيون على

المعلق: الديوان، ص 217.
المفصل: شفاء القلوب، ص 417.
الصغير: أعوان العصر، ج 1، ص 112.
ابن نباتة: الديوان، ص 4.
المصدر نفسه، ص 4.
ووجد في اللغة أيضًا صرف ما لا ينصرف للضرورة الشعرية، وتسهيل الهمزة أيضًا، وذلك كله من أجل إقامة الوزن في الأبيات، ويرتبط التسهيل والحداث في لفظ الشعر اشبع بعض الحركات فتنظهر حرفاً كاملاً، ومنها أذالج ابن معقل الحموي، التي كان يشبع فيها الكلمات.

- القافية والأوزان الشعرية:

القافية والأوزان في الشعر كل واحد لا يفترقان، وذلك لأن القافية تعني مجالًا للشعر، وتساعد في توازي الإيقاع، والأوزان هو الأساس في الشعر الذي بدونه يصبح نشراً حتى وإن كان وزنه قاسياً على تفعيلة واحدة كما في الشعر الحر، ومن هنا فإن الشواهد الشعرية التي بين أيدينا كانت فيها القافية المقيدة والمطلقة، والصربعة، والكررة، ويظهر لدينا ارتداد بالقافية في أغلب الشعر الذي بين أيدينا، ونجد تنوعًا في الوزن والقافية من خلال بعض الأوزان المستحدثة، أو الأزجال، والموشحات، والمسمعات، والدوبيث.

وقد اهتم شعراء المؤيد وآبنائه الأفضل بالقافية والأوزان الشعرية حيث نظموا قصائدهم التفصيحية على البحور الشعرية المعروفة، وكانت القوافي التي استعملها الشعراء قريمة للطبع، وغير معقدة ولا تكثر فيها الضرورات الشعرية، ومن القوافي السهلة المدرسة قول الخليفة:

سوى حسن وجهك لم يحل لي
فكيف سلوي ولي طينيّة
ولكن حلقي لم تجبن
أثرع أني أطبع الوعمّة
وصغي إلى عدل العمدّ (117)

فحرف اللام في آخر القصيدة المتحرك جعل الأبيات ذات جروس موسيقي، وحركته بالكسر أكسبته جمالاً، وابتعد الشاعر عن التنسيق غير الحبيب في القوافي، وكما نجد القافية المطلقة ججد القافية المقيدة السكنة عند ابن نباتة:

(117) الطلي: الديوان، مس. 226.
وقد أفاد الشعراء من الفنون البديعية في استعمال القوافي، خاصة الجنس,
فقد ينتهي كل بيت بعبارة واحدة مثل قول الحلي في رسالة بعث بها للملك المؤيد:
يا سادة حملت من بدعهم أكثر من عيدي ومن طوقي
اصبحت كالورقاء في مذبح
لما غدا إنعامك طويحي (11)
حيث انتهى البيت الأول بكلمة (طويحي)، وكذلك البيت الثاني مما سهل على الشاعر
قافيةه، ومنها أيضاً أن بدأ البيت وأن ينتهي بكلمة واحدة، كقول الحلي وهو ما
يسمى برد الإعجاز على الصدور:
رمان الزمان
وحسن الوجد
وأمين البليغ
بلوغ الأماني (12)
ويشبه هذا ما يسمى بالتصريف وهو اتفاق آخر كلمة في الشطر الأول في وزنها مع
آخر كلمة في الشطر الثاني في الوزن، ومثال ذلك قول الحلي في رواية البندق في
حماة عام 746ه، وهذه الظاهرة تكاد تكون أكثر الأمور بروزاً فيما يتعلق بالقافية:
قم بي فقد ساعدت صرف الفدر
فأضعه بما ذكرت
فاصفاءه من حائر السحر فإن قدر
ولا يخفى أثر كلمة (قدر) في جمال القافية وموسيقيتها.

(11) (118)
(12) (119)
(13) (120)
(14) (121)
(15) (122)
(16) (123)
أورد الشعراء أيضًا في قوائفهم ما عرف بلزوم ما لا يلزم، ومن القصائد التي التزموا بها في هذا الموشح لزوم ما لا يلزم في الاقفال فيما بينها، والابيات فيما بينها. ومن هذا الموشح:

لا يَفْعَلُ وَالْغَيْثُ يَسَلُ‍ٰ وَهُوَ حَابِسٌ
دَامِهَةَ الْمَقاَرِي
جَعَلَ الْبَيْضُ
فِي الْتَرَايْقِ
وَسُرْمُ الحَطَّ تَرْقَى
مَسَّاعٌ لِّلْفُلْحِ
أَضْحَت مِراَقِيَّ
هِي الْبِوَايَقِيَّ (122)

وتلك الصالحات، وترى اتفاق آخر كلمة في كل بيت من الأبيات السابقة في مقطع (في) وهذا هو لزوم ما لا يلزم، حيث جعل المليّ حرف الاقف قبل النهي في الأبيات السابقة جميعها، وهذا نوع من إظهار البراعة والقدرة الشعرية، خاصة وأنه نظم بطلب من المؤيد الذي أراد أن يكشف هذه المقدرة عنده. ومن ذلك قصيدة ابن نباتة في تهذيلة الأفضل بمولود جديد، يقول:

هَنِئَالَ لِنيَتِ الْفَضْلِ أَنْ مُمَأَّدَهُ مَقْبُومً، وَالْمَلِكُ بِأَقْدَامٍ عَمَيْدَهُ
(123)

وأن ولد الأفضل الملك قد محا عن الناس حزنًا لا ينادي ولبيد، وقد بخرج الشاعر أحياناً عن القافية الوحدة لظهور مقدراته الشعرية على تغيير قافية قصيدته، ومثال ذلك ما ورد في أرجوزة ابن نباتة التي سمّها «مصائد الشوارد»، ووصف فيها الصيد في حمّة، ومنها:

أَيْسَى عَنْ نَجْمِ الْإِلْيَّاءِ وَالْمَسْفُورِ الْأَكْمَامِ
وَزُحُورُ بِصَحْبِهِ في الأَكْمَامِ
مَا بَيْنَ نَوْرُ مَسْفُورِ اللَّمْعٍ
أَن كَانَتِ الأَرْضُ لِهَا ذَخَانُرُ
(122)
(122) العليل: الديوان، ص. 1176.
(123) ابن نباتة: الديوان، ص. 128.
قد بسطتها الأرض الغمانِـم ـ بِسْطَ الْدُّنْيَا مِّن الدِّرَاهِمِـ (١٢٤)

فنجد أن كلمة القافية في كل بيت اختلفت في بيتها الأخير، فتجاوز كل كلمة على قافية تختلف عن الأخرى.

وقد كانت الموشحات والمسمات والدُربِـت مِـجالًا واسعًا للتنوع في القافية

وقياسًا للشعر التقليدي الذي قاله شعراء المؤدب، كان نبأة، والهلي، والمؤيد نفسه وغيرهم، فإن هذه الأنواع كانت من أجل إبراز القدرة الشعرية التي أشرنا إليها سابقاً اتفاقياً مع روح العصر التي تجعل من الأدباء والشعراء يقولون ويكتبون في كل شيء، ليمكنهم ذلك من مواكبة هذه الروح الطامعة للتنوع وإكران هذا على حساب المعنى والجودة.

والموشحات في حماة، كثَـرت بسبب ولع المؤيد نفسه بهذا الفن الشعري والذي قال فيه موشحاً مارض فيه ابن زيدون، وقد أراد لهذا الفن الشعري أن يكون على السنة شعري؛ فكان هذا في عدة موشحات، كما أن الزجل انتشر على يد الزجال الحموي ابن مقاتل الذي تشير المصادر إلى أنه صاحب ديوان زجل من جزئين.

وقد اشترك مع هذه الألوان الشعرية شعر الطرف الذي شهد تنوعاً كبيراً في قوافيه، ويكفيهما من ذلك الأرجوزة السابقة لابن نبأة والتي بلغ عدد أبياتها (١٢٥) ببدلاً من الشعر شملت كل الحروف الهجائية، وقد أتاح طول هذه الأرجوزة للشاعر أن يبدع في تنوع قوافيه، ومنها زيادة على ما سبق:

سُرنا على اسم الله والمناجح
كانيها أضححت له ظَـلاً
دمعاً لقحان الفرد يُـنِـبج
وكيف لا وهي الرياح الأربع (١٢٦)

وقصيدة أخرى للحلي في الطرد أيضاً ماثلة سابقتها في تنوُـع القافية، يقول:

وانتظر إلى الأطياف في مطرها
واعتبر الجنة باعتبارهاـا

ابن نبأة: الديوان، ص.٥٨٥.
المصدر نفسه، ص.٥٨٨.
إذا لا تطير مع سوّي أنظارها
فلاتضع نفسك عن مقدارها
مع غير ديني البعض وكن على حذر
أو مل إلى العميق بعزم ثاقب
فإنها من أحسن الناقص
فاعجب لما فيه من الغرائب
ومن المراعي وجليل واجب
أصنافه معدودة لا تُحتضن [١٩]

ومن مشوق لابن نبيات في مرح المؤيد أيضاً، قوله:
إلى بكأسك الأشهى إليّا
ولا تدخل بمسجدها عليّا
معتقدة تدار على الندام
كان على تراقبها نظامًا
من الرواه التي محت الظلماء [٢١]

وكمان تدّوّعت القافية تنوع الوزن، حيث تراوحت الأوزان بين البحور القوية كالجمل، والطويل، والقصر، والمميتة كالنَّبَض، والرجل والخاصة الشعر الخاص بالموشحات وشعر الغزل.

ووجدنا في قصيدة الحلي التي نظمها بناءً على طلب المؤيد منه الذي اختار له بحر المنسرخ الذي يعد من البحور النادرة الاستعمال ليقول فيه فنجبه إلى ذلك. ولا بد من الإشارة إلى أن أغلب قصائد وموشحات الحلي قد قالتها بطلب من المؤيد الذي يتخيل له الوزن والقافية، وهذا يؤكد لنا قدرة المؤيد الشعرية ومعرفته الجيدة له بل أن يختار الصعب والناادر للقول فيه، ومن المنسرخ يقول الحلي:
طال على الصب عمر جفَُّوكَمْ
قبل يوم من الغرائب ستستَّب
صب أجاب الغرام حين دمـا
طوعاً، واللى إلى الهوى رَسَّتْ [٢٨]

ومنه قول المؤيد نفسه:
كم من دم حلّت وما دَمَّسْت
تفعل ما تشتهي فلا عَدْمَسْت

[١٩]<ال延迟> 
[٢١]<延迟> 
[٢٨]<延迟>
لم أكن الشمس عند رؤيتها:

ومن الرجز قول ابن نباتة في مصائد الشوارد:

يا لك من صمَّدم مُقَر العين.

يُرضي الصحاب وهو ذو وحين.

الخيل في وجه الصباح السافر.

ومن الوافر قول المؤيد:

سَرِي مسارى الصبا فعَجِبُت منى.

وُفِقَ بألَّام بِي من غير وعَد.

وطارتني ولم يعطِي عَلَى.

وقد نظم ابن نباتة أيضاً أحد موشحاته على البحر الوافر، وقد جاء هذا الموشح رقيقاً.

وقد كان للموشحات والمسميات، والدبيبة دورها في إضفاء الحيوية على الوزن، خاصة وأن بعض الموشحات لم تلتزم بالبحور الشعرية. ويتمثل الخروج على الأوراق في الأزجال التي لم يكن لها وزن تستقر عليها بل هي مجموعة من التفعيلات قد تختلف من بيت إلى آخر، ومشاهله قول ابن مقاتل في تعريضه بزجالي دمشق، حيث كانت بينهم وبين زجالي حماة منافسة كبيرة.

كما اقترح المؤيد على الحلي وزن موشح آخر وهو من الوافر:

عدد الوزن في خذة غيامرس

وانظر له يستفف اللحظه خارس

الصافي: عمان العصر، ج.1 ص.119.
ابن نباتة: الديوان، ص.588.
الصافي: عمان العصر، ج.1 ص.119.
ابن نباتة: الديوان، ص.494.
ابن نبة: خزانة الأدب، ج.1 ص.519.

(121)
(122)
(121)
(122)
(121)
 Jenner 3
 قَبَالُ ذُورَهَا
 فيها وحِينَ-
 وطافٌ بَكَاسٌـ
 الفقَارُ مِيتٌـ
 البَنى المُتَيّـ
 كَانَ الحَمَـيُّـ
 لا في كَـقْـنـه

وَدَرَىٰ فِي بَعْضِ الْقَصَائِدِ وَخَاصَةً الْفَزْلِيَّةُ وَالْخَمْرِيَّةُ النَّفْـمَةُ الفُنـاَرِيَّةُ، فَهَـيِّ تَـسِير
 عَلَى نُـغْمَـاتِ دَسْـوِـةٍ تَجْعَلُ هَـلَـمَأَ فَـخَـاصَةً وَأَنَّ الْفَـنَاءَ كَانَ يَـعْتَمَدُ عَلَى الْأَوْزَـانِ
 السَـهَّـةُ الْمِـسْـرَّـةُ، وَمَـنَّهُ قَوْلُ اِبْنِ تَـبْـنَـةُ، وَهُوَ مِنْ مِـجْزَوْءِ الْكَـاَمِلِ

مِـنْ الْمَـوْجَـوِّةِ النَـاهِـيَّـةِ
 لَـكَ الْأَزْـحَـرِ مَطْرِيـنـهِ
 فَإِنَّهُ هُـمُ بِالسَـهْـيَّـرِ، أُهْـاَ لِـهَا عَـبْـيـنـهَا عَـلَـيـنـهـِ
 رَقَبُ الْوُـشْـأَةُ جَـفْـوُـنُــهـا

وَمَـنْ مِـجْزَوْءُ الْرَـمْلِ قَوْلُهُ:

لَا وَخَـمِرُ بَـاـلِبِيـةـنـةُ
 لَا رَقَبُ سَـفْـحِ دَـوْـمُـسـِـسـي

وَنَـجَدُ الْتَرْـضِيـعُ أَيْـضًاّ الـذِيّ كَانَ لَهُ دُوْرَهُ فِي إِـغْـنَـاءِ الْمُوْسَـيِـقِ الدَّاخِـلِيَّةِ وَتَـحْـقِيقِ الـإِـيْـقَاعِ;

وَمَـنَّهُ قَوْلُ الـحَـلْـيِّ:

كُواكِبًا بِـهَا الْأَـ أَـ أَـ، ثَـبْـتُــهُـ
 لِـمِـجْـتَـنَـي، وَالْجَـيْـلِي، وَالمُـجْتَـنَـدِي

فِـقْـوْـلاً، وَطَوْـنًا، وَخَـوْـلَـةُ

(124)
(125)
(126)
(127)
(128)
(129)
الفصل الثالث

النشر في عهد المؤيد وأبنه الأفضل

- دراسة موضوعية -

أ- الرسائل الديوانية
ب- الرسائل الإخبارية
ج- الرسائل الإخوانية
د- النثر التأليفية
الفصل الثالث

النشر في عهد المؤيد وابنه الأفضل من 1042 HE

١- عامة موضوعية

اهتمّ ملوك حمامة بالنشر، مثل اهتمامهم بالشعر، وكان لهم فيه مؤلفات عدّة
منها: مسحور الحفاظ وسر الخلاقين للملك النصرو محمد، ومولف المؤبد شاهد
علي ذلك، فقد كتب في الجغرافيا تقويم البلدان، وفي التاريخ، الخلاص في أخبار
البشر، وكتب الكثاف في عدة علوم، وتوادر العلم وغريبها(1)، هذا زيادة على العدد
الكبير من الكتب التي كان يملكها والتي قام بتنزيلها على أصدقاءه قبل وفاته، كما
أن حمامة زخرت بعدد من خزائن الكتب مثل، مكتبة البارزي قاضي حمامة، وخزانة
الكتاب بجامع المؤيد، التي احتوى على ما يقارب "سجعة آلاف كتاب"(2).

وقد شجّع الملك المؤيد على الكتابة النثرية، كما شجّع قول الشعر من قبل، حتّى
مؤلفات ابن نبات النثرية تكاد تكون كلها بطلب من الملك المؤيد، ومن هذه المؤلفات
التي كتبها للمؤيد: الفاضل من إنشاء الفاضل، وشعاع البيت النحوي، ورسالة
السيف والقلم، ومنزوع الفوائد ومجمع الفرائد وغيرها.

وقد ضمت حمامة في عهد المؤيد وابنه، عدداً من العلماء منهم قاضي حمامة، هبة
الله البارزي الذي اشتهى عنه اهتمامه بالكتاب كثيراً وحرصه عليها حتى أنّه "كان
عندّه من كل مؤلف نسختان وثلاثة، وكان إذا سمع بتصنيف لأحد من أهل عصره، أعدّ
المال لاستئناس ذلك الكتاب. وله عدد كبير من الكتب التي كتبها أثناء وجوده
في حمامة، ومنها: بدائع القرآن، وشرح الشاطبية، والشرح في السبعة، والنافذ
والمحسم، وشرح الحاوي، وكتاب في العروض وغير ذلك من مؤلفاته الكثيرة"(3).

ويوسف بن محمد بن حمّاد الصموئ الذي كانت له معرفة جيدة بالفقه والنحو، ودر

(1) إسماع الخليل: (مقال: حمامة في مصر في القرن الثاني)، مهرجان أبي الغداء، ص: 182.
(2) الصافي: عصر النصر (مسطوراً)، ج: 3، ص: 311.
الدين محمد بن يعقوب ابن النحوي وهو من علماء العربية في المعاني والبيان، وأسد اليهودي، وهو أحد أطباء اليهود وكانت تربط بالمؤيد صداقته طفيدة، وابن الفقاعة، وكان مشهوراً بالقراءات والتجويد والفقه والنحو والأدب، ويعقوب بن عبد الرحمن "خطيب القاهرة العام وكان ماهراً في العربية أيضاً (1). ومن مجالس هؤلاء العلماء ومحاوراتهم في حماة ما ذكره صاحب الدور على لسان شمس الدين بن الذهبى أنه كان ياماً عند القاضي شرف الدين البازر بحماة وعنده صدر الدين بن الوكيل وصلاح الدين بن الغزيل فشذاحاً من الصباح إلى أن أذن الظهر.

فقال لهما القاضي شرف الدين: طول الله للمسلمين في عمركما سروراً بهما (2).

وقد كانت حمآة مليئة بالمدارس التي ضمت عدداً من هؤلاء العلماء وغيرهم، يتعلمون في مدارسها علوم العربية والشريعة وغيرها. وقد سبق ذكر أسماء بعض هذه المدارس في التمهيد.

وقد تمثل النثر في عهد المؤيد وابنه، بالوسائل الإخوانية والأدبية، والديوانية، والنشر التاليفي من كتب ومولفات شتى.

1- الرسائل الإخوانية:

وانسبة إلى اسم هذه الرسائل، فهي ذات صفة وجدانية تربط كاتبها بين يكتب

* إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن سعد الله العمري، الشيخ اللغوي المقرب، المعروف بابن الفقاعة، كان مارفاً بالقراءات، والتجويد والأداب، والتمثيل مع العروفة بالنحو والأدب، ولد 1422ه وتوفي 1676ه (3).

** يعقوب بن عبد الرحمن بن عثمان خطيب القاهرة العمري، اشتغل بالنقه ومهر فيه وشارك في الفنون حتى اعتزل في حماة، وكان مارفاً بالقراءات، وله مصنفات كثيرة، توفي في الفئتر 1676ه (4).

*** ابن الوكيل، صدر الدين أبو عبد الله الشافعي المعروف بابن الوكيل، فلما وفته منصب دينه التميمي، والفقهاء وغيرهم من العلماء الكثيرة، توفي في 1676ه (5).

**** ابن الغزيل، ميدان بن محمد بن محمد بن نصر الله ابن الغزيل العمري، ولي مشيخة الشروع في حماة، وكان يعرف علوماً كثيرة، توفي 1676ه (6).

المستقبل: الدور الكامنة، ج1 ص 187 (7).
لله رابطة صداقة أو قرابة، وموضوعات الرسائل الإخوائية تتعدى، فقد تكون التهيئة
أو التعزية، أو الشكر، أو الاعتذار وغير ذلك.
ومن الإخوانيات في تلك الفترة وتلك المدينة رسالتان لابن الوردي، الأولى
يعزى فيها بوفاة قاضي القضاء شرف الدين هبة الله بن البرازي، وكتبها إلى ابن
ابنه نجم الدين، والرسالة الثانية يحتوي فيها صاحبته له تولى نظر المال بحماة (1).
ومرة رسالة التهيئة التي كتبها ابن الوردي إلى صديقه، الذي تولى نظر المال بحماة
وقد افتتحها بالشعر:
يَقَبَّلُ الَّذِينَ مَخْفُوَةً فَانْتَصَلَا
يَا جِبَرِيلَ حَمَّى (حمامة) استوطنوا
وستَمْكِنُ الحَبِّ مِنَهُ ظاهِرَ
إِلَيْكَمْ حيث كُنْتُمْ تَأْظَرُ
إِذْ لَا يُجِرُّ يَدُّ ضَمْنِي ضَمْنِي لَكُمْ
(2)

حيث يعبر ابن الوردي في هذه الأبيات، عن فرحه وابتهاله لتسليم هذا الصديق، نظر
المال بحماة، ولا يجد تعبيراً أفضل من الشعر الذي يتبني من واجبه، ثم يتبعه التهيئة
نشرها، يقول: "وبيني أن الملك كان يقول لقلعة حمامة هنيئاً مريماً، (وقد جعل ربك
تمتاد سريعاً)، والآن هنيئاً للسري الفاخر، بمجاورة بحرك الزاخر، ولعمري لقد حق
لابن مقاطع توحيذ التوسيع الجريء، وأن يقتدي بالملائكة حتى يسمع له زجل بالتمسح، وما
عُزِزاً (منه) بثلاث وثمنهما من فما أنشد، مضموناً عني وعمهما:
قد جعل الملك لحماية بيضبت،
فَبَصَّرُ فَاعْجِبَتْيُ تُبَبَّرَتْ
فَلَمّا تَفَطَّنْ فَاخْتَذَا بقَوْرُدِهَا
(3)
فَحُمِيت حمامة من أعانة الصيب، وإصابة العين، وتم سرور أم الحسن بالحسين (4).
والكاتب يصور هذا ما يعلقه من أمال على هذا الصديق، وقرح حمامة وأهلها،
ابتهالاً بهذا الصديق.
(1) ابن الوردي، عمر بن الوردي (ت 744هـ) الديوان، تحقيق أحمد فوزي الحبيب، دار الفن، الكويت، ط. 1987م، ص 141، 140.
(2) ابن الوردي: الديوان، ص 178.
(3) المصدر نفسه، ص 178 وما بعدها.
(4)
والرسالة الأخرى لابن الوردي في التهمة بوفاة قاضي قضاة حماة شرف الدين
البارزي ويقول فيها ابن الوردي: «وينفي أنه بلغ الملوك، انتهاد الطول الشامخ،
وزوال الجبل المشهور، الذي بكت السماء والأرض، وقابته فيه المكرور بالذَّب، وذلك
فرض، فشعرت أحفاد الملوك بالدموع (كما شرقت صدر القناء من الدم)، وأخرج ابنه
من الضلوع، فراق، ومن فارقت غير مذم، وباء في حزنه الورد والصدر، واجتمع
الناس لاصط غاظر، فالاعلم تبكيه، والحاكم تعرَّض فيه، والأئمة تمشي على الرووس
لفقه، والمصنفات تلبس حداد المداد من بعده، ولا صلي عليه يوم الجمعة صلاة الغائب
بحلب، ارتفع الضعيف وكثر النشيج وغلب، فلا خاص إلا حزن قلبه، ولا عام إلا إطار
له، فإنه مصساب زلزل الأرض، وهم الكرام المحب، وسرب الأبدان قواها، ومن عيون
الأنياب كراها، ولكن عزى الناس لفقده، كون مولانا الخليفة من بعده، فإنه
خلفه عظيم، لسلفر كريم، وانت أولى من قابل هذا الفارج القادر بالرضي وسلام إلى
الله فيما مضى.»

سلم إلى الله فكل الودى
إن الذي الوحشة فصي دار
فإن الله سماحة وتعالى، يجيء ما كانت الحياة أصلح، ويبث إذا كان الموت أروع،
وقد نظم الملوك فيه مرثية أعجزها عن تصويرها اضطرار صدره، وحمله على
تسطيرها انتهاب صبره، وهي:

بغرمك أن بنيتك ضَوْمَم
ويبعد عنكم القاضي الإمام
على الدنيا لقيت يُضْبَم
سراج في العلماء، اضطُّرَمن
تعملت المكارم والمالية
وامات العلماء، اضطُّرَمن
أيُسْبَعَني على شيخي نظَمْ
وأبيدي الوفي والفكَّام
ففي عيني له نعم اسم
ولو أنصفته لقضيته نحبس

(1) المصدر السابق نفسه، ص 47 وما بعدها.
حسناً أدنى بذورِ ساقطةٍبيهم قلٍّ له الجممام(10)

وهي قصيدة طويلة نظمها ابن الوردي في رحاه أستاذته، وضمنها رسالة التغذية، ونجد ابن الوردي في هذه الرسالة، صاحب عاطفة صادقة ومعبرة، كما يكتبه من حين لحين أستاذته، ويعود السبب في هذا إلى أن البازري أستاذته الذي أخذ عنه العلم,

ومن هنا فالخالصة بينه وبين أستاذته قوية. يقول شعراً:

أناُ تلقّيته ب震慑ٍ دقيقاً بكم فخري إذا أفتخر الأئمة

وقد جمع ابن الوردي في هذه الرسالة، بين الشعر والنثر، ليعبر عن مواطفته التي شعر بها، عندما عرف خبر وفاة البازري، ويبين لنا عظمة المصحبة، وأثرها عندما قال:

انهداد الطود الشامخ، وزوال الجبل البائخ، ولا ينسى المكانة العلمية للبازري فإنه يشير إليها: فالعلم تبكيه، والهالس تعذّب فيه، والآثاب تمسي على الروؤس لفقدته،

وال.mustaqf تلبس الحداد من بعده(11)، ويؤكد هذا المعنى شعراً عندما يقول:

سرّاج في العلم إضاعة دفراً على الدنيا لقيتُه في غفلة

تحكمت الكورام والمغاليس

وقد جمع ابن الوردي، يستذكر أعلاماً أخرى بأيديهم الربي، ومنهم:

أبا عامنًا لا كنت عاممًا

وكان بها لسكتها استنامًا

وتفتكر بابن جملة في دمشق

وأخبر حماة تجلعت حزاماً

ولأن البازري أحد العلماء والقضاة المشهورين، الذين عرفهم الناس، فإن الحزن

المصدر السابق نفسه، من 10 وما بعده. (10)

ابن الوردي، Clovis, ص 10 وما بعدها. (11) ابن الوردي: عمر بن معمر بن عمر زين الدين ابن الوردي. القيق، الشافعي، ينشى بعله، وترقب بها، ونظم البازري الأودية، وله كتب ومقالات، تذ429(الشرقاوي: البدر، الطالب: ج 1، ص 24).

أبِن بُنْس: يوسف بن إبراهيم بن جملة. قاضي القضاء بالشام، 7887 (أعيان العصر، ج 3، ص 224).
والتفجع عليه، كان عاماً شاملاً، يقول ابن الوردي: دُونًا صَلي عليه يوم الجمعة صلاة
الجُمَال بحب، ارتفع الضجيج واشتد التشجيع وغلب، فلا خاص إلا حزن قلبه، ولا عام
إلا طار لبيه، ويربد هذا شعرًا:

ولما قام نعيمه استطارات
عقول الناس واظطراب الآنان
فإن بَعْوَتُه مات الكَيْمِرَمُ
ولو يبقِيُ سُلوتا من سبأه

ويختتم الرسالة بالعزاء الجميل، والدعوة بالرحمة للمتوفى، وتحس الخير من خلفه،
وعدوته إلى الصبر على القضاء، يقول: ولكن عزيز الناس لفقيه، كون موالاته
الخليفة من بعده فإنك خلف عظيم، لسلف كريم، وأنت أول من قابل هذا الفادح
الفادح بالرضى، وسلم إلى الله فيما مضى، فإن الله سبحانه وتعالى، يحيي ما كانت
الحياة أصلح، وعُميت إذا كان الموت أروعٌ(16).

الرسائل الأدبية:

وتُعد الإيweiات الأدبية التي أهتم بها الشعراء والكتاب في العصر
المملوكي، وتأخذ في أغلبها شكل المحاروة أو المناطرة، وتكون بين بعض المتناقضات
مثل الدند والاقطان، وأنواع الأزهار والفاكهة، والأطيار، ومختلف الحيوان، والتراب
والنار (17). ومن الرسائل الأدبية موازنة بين السيف والقتل للقلشندى، وأخرى في
الموازنة بينهما لابن الوردي، ويطالعنا في عهد المؤيد رسالة أديبية لابن نباتة الذي
حرص أن يخوض في كل الأنواع الأدبية التي عرفت في عهده، ورسالته في المناطرة
بين السيف والقتل، ونجد أن ابن نباتة قد وقع اختياره على شبدين اهتم بما أهل
زمانه، وهما السيف أداة الجهاد والحرب، وال摇了ما أداة الثقافة والكتابة، والسيف
والقتال مما مجال الغفر في عصر ابن نباتة.

وكتب ابن نباته هذه الرسالة للملك المؤيد صاحب حماة، وقد جعله حكماً بين

(16) ابن الوردي: الديوان، ص: 101 وما بعدها.
(17) محمود رزق سليم: مصر سلاطين المماليك، ج5، ص: 364.
السيف والقلم في نهاية الرسالة، ويقدم ابن حجة لهذه الرسالة عندما ذكرها حيث بين براعة ودقة وإتقان ابن نباتة فيها، يقول: «وقد علم أننا أن أرفع للمتأخرين في التدقيق رأيه، ليعلم المُنَكَر الفرق بين البداية والنهاية، فإن الشيخ جمال الدين أظهر في المغالبة بين السيف والقلم ما صدق به قول القائل: »

وإثني وإن كانت الأخيرة زمانة لا بما لم تستطع الأوائل (14)

وبعد أن ابن نباتة قد كتب هذا الرسالة في إحدى لياليه أيام كان بحماة في عهد الملك المؤيد، وذلك لتكرار اسم الملك المؤيد في هذه الرسالة (16).

يبدأ ابن نباتة انفتاحه على لسان القلم، ولعل هذا يبين إيشار ابن نباتة القلم على السيف، ويصور لنا ابن نباتة مخاين القلم، فبدأ هذه المحاسن بابية قرائية كريمة، ليدلل بذلك على أهمية القلم، من خلال قسم الله سبحانه وتعالى به، ويستهل الحديث بالتحميم والصلاة على النبي عليه السلام، كما يوضح دور القلم وأهميته في تسيير الكثير من أمور الحياة السياسية، والعلمية، والاجتماعية، والاقتصادية. يقول ابن نباتة على لسان القلم: «فبرز القلم بإفصاحه ونضج إرثينه، وروى من الأئم على أعياد وقائم خطيباً بمحاسنة في حلَّة مراد، والتتف إلى السيف فقال: يقسم الله الرحمن الرحيم والقلم وما يسترون ما أنث بصنع ربك بعجنون» (17).

الرسالة التي ختم بالقلم، وشرف بالقيل، وخط به ما قدر وقسم دعوى الله على سيدة محمد الذي قال جف القلم (17) بما هو كائن، وعلى الله وصحبه، نوي الجد المبين، وكل من بان، صلالة واضحة السطور قائمة من أدراج الصور، ما نقلت صحف البحر غاديها، وكتب أقاليم الدور على مهارق الدباج حكمة بارها أما بعد،

ابن حجة المصري: خزانة الأدب، ج، ص، 22.
محمد رزق سليم: عمر سلطان الحمامي، ج، ص، 378.
سورة القلم، آية 1.
(رفعت الأقلاهم وجهت الصحف)، مسند أحمد بنحنيل، ج، ص، 297، 296، 295.

14
15
16
17
فإن القلم منذر الدين والدنيا، ونظام الشرف والعلما، ومُجَادِح (١٨) سمح الخير.

إذا احتاجت الهمم إلى السقى، ومفتاح باب اليمين المُجرَب إذا أعينه، وسفر الملك المَجْبُور، وعذيق (١١) الملك المُرْجَب، وزمام أموه السائرة، وقادمة أجنحته الطاهرة.

ومطلب أرزاق عفاته (١٠) المتوترة، وأنمئة الهدى المشيرة إلى ذخار الدنيا والآخرة، به رقم كتاب الله الذي (لا ياتبه الباطل) (١٩) وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم- التي تهدب الخواطر والخواطر (٢٠)، فببينه وبين من يفاخر الكتاب والسنة، وحسبه ما جرى على يده الكريمة من مِنْطَقَة، وفي مروضي الدول عونه للشامدين، وبعين الله في ليالي النفس (٢١).

«قلب وجهه في الساجدين، وإن نظمت فرائد العلوم فإنما هو سلكها، وإن على أسرة الكتاب فإنما هو ملكها، وإن رقمت بعود البيان فإنما هو جلالها وإن تشعبت فنون الحكم فإنما هو أمانتها ومالها، وإذا انقسمت أمور الملك، فإنها هو عصمتها وشمالها (٢٢)، وإن اجتمعت رعايا الصناع، فإنها هو إمامة المتلعق بسواها، وإن زُهرت بحور الأفكار فإنها هو المستخرج دورها من ظلمات مداها، وإن وعد أوفي بجلب».

(١٨) مُجَادِح: أثراء، ملددها مَجِدٌ (لسان العرب، ج ١، ص ٢٢)، مادة (مجد).

(١١) مَجِيد: تصغيرا لمن ينخذ كلمة، وهو تصغير تعميم، ومنه «مِنْطَقَة، أضا معيتته pau شما، لسان نعر، ج١، ص ٥٩، مادة (عنقل).

(١٩) مَدِينة: عم القراء: ما يفضل عن المنهاجة (لسان العرب، ج١، ص ٦٥، مادة (مقد).

(٢٠) مقدمة، أيا ١٢٤.

(٢١) الخواطر: الخيل: الاضراب، ورجل خليل، الكلام: إذا كان مضطرب لسان مفردا (لسان العرب، ج١، ص ٧٨).

(٢٢) انحاء: زائر، ج١، ص ٢٢، ٣٢١.

(٢٣) شمالاً: أثاث: المال القيّم، يبنى في أسفل الموصى أو أي إنا، لسان العرب ج١، ص ٩١.
النفع وإن أعد أخف كنما يستمد من النفع(۲۳). (۲۴)

هذا وهو لسان الملوك الخاطب، ورسيلها لأبك الفتوح والخاطب، والنفع في تعمير دولها ومحصول أنفسها. والمتهم داورها الشاقة على عينه ورأسه، والمتبقي، لجهاد أعدائها والسيف في جفته نائم والإجازة لبسها وكرمها جيشي الحروب والماكم، والجاري بما أمر الله من العهد والإحسان، والمسود الناصر فكانا هو لعين الدهر إنسان، طالما ذب عن جرحها فشد الله أزره، ورفع ذكره، وقام في الحمامات عن دينها أشعت أخبر، لو أقسم على الله لأبى(۲۵)، وقال على البعد والصوارف في القرب، وأوتي من معجزات النبوة نوعاً من النصر بالرعب(۲۶)، وبعث جحافل السطور فآفسق دالات، والرماح ألفات، واللامات لامات، والهمزات كواسر الطير التي تتبع الجحافل، والآتية عمياها الحمر من دم الكلي للفاصل، فهو صاحب فضييلتي العلم والعلم وصاحب ذي النجاح في الحرب والرعب، لا يعاديه إلا من ساق نفسه وليس لببس وطبع على قلبه، وقل(۲۷) الجدد من غربية(۲۸)، وخرج في وزن المعرضة عن ضربه(۲۹)، وكيف يعادي من إذا كرعت في نفسه قبل ذاك أعتينانا الكوثر(۳۰)، وإذا ذكر شانه السيف قبل(۳۱)، وإن شانه هو الأبر(۳۲)، أقول قولي هذا واستغر الله من الشرف وخيله، والفخار وكبرياته وأتوكل على الله فيما حكم، وأسأله
التدبير فيما جرى به من القلم، ثم أكثف بما ذكره من أدواته، وحبس على كرسي دواته، متمثلًا يقول القائل:

قلتْ يغلظُ (البيجش وهو غموم) (27) والبيض ما سلّت من الأعماد (28)

وهيت له الآجام (29) حيث تشابها كرم السيل وصولة الأسد (30)

ويرد السيف على القلم مثلما احتَجَّ من استخدام الآيات القرآنيّة الكريمة.

الدالة على فضل السيف، ويحتجّ بذكر بعض هذه الآيات، يقول السيف في هذه المناظرة: «بسم الله الرحمن الرحيم، وأنا لنا الحمد فيه، باس شديد» ومنافق للناس (31) "وليعلم من ينصره ورسله بالغيب إن اللط من عزيز (32) الحمد لله الذي جعل الجنة تحت ظلال السيوف (33)، وشرع حدها في ذوي العصيّان فاغتصبهم بما الحكّوت، وشيئ مراتب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص (34). وعند مرصوص (35)، وأجناه من رقص حديدها الأضخم ثمار نعيمها الدانية القطوف، وصلى الله على سيدنا محمد نازم الآلوف، وعليه وصحبه الذين طالما محوا بريف الصوارم سطور الصغوف، صلالة عاطفة في الأنف، حالية بها الأسماع.

(35) بغل: فَلَالْآبَى، هَزْمَهُمْ، (السُّنَّةِ، عُمِّر، 50 ص، 22، مادة: عُمِّر).
(36) غموم: بِجَبَّةِ عِمْرٍ، كُثُبَرِ، (السُّنَّةِ، عُمِّر، 5 ص، 297 ص، مادة: عُمِّر).
(37) معركة: مَقْرَبَهَا شَغَط، وهو موضع السيف، (السُّنَّةِ، عُمِّر، 5 ص، 227 ص، مادة: عُمِّر).
(38) الآجام: الْجَمَّةُ، مَنْبِثَ الشَّجَر، (السُّنَّةِ، عُمِّر، 6 ص، 478 ص، مادة: مَنْبِثَ الشَّجَر).
(39) وصول: السَّلَاةُ، (السُّنَّةِ، عُمِّر، 5 ص، 287 ص، مادة: صول).
(40) سورة المعدّة، آية 24.
(41) سورة المعدّة، آية 25.
(42) وَأَعْلَمُ أَنَّ الْجَنَّةَ تَنْتَظِمْ نَظْلَاءَ السَّيَوَى، صَحِيحُ البخاري، باب البناء، ص 112.
(43) مرصوص: فِنَّ النَّرْمَانِ، أَحْكَمَهُ، وَسَمَّى إِلَيْهِ وَسَمَّى، (السُّنَّةِ، عُمِّر، 3 ص، 41 ص، مادة: رصوص).
(44) مرصوص: رِضَّفَ الشَّيْءِ، ضَمَّ الشَّيْءِ إِلَى بَعْضٍ وَنَزَعْهُ، (السُّنَّةِ، عُمِّر، 4 ص، 129 ص).
أما بعد فإن السيف زنده الحق الوري(٨٤) وزنده القوي، وحده الفارق بين الرشيد والغوي، والنجوم الهادي إلى العز وسبيله، الشغر الاسم عن تباعير قلوبه، به أظهر الله الإسلام وقد جمع خفاء، وجلى شخص الدين الصنعي وقد جمع خفاء، وأجري سبيله بالأبطال فأما الحق فلمك والباطل فذهب خفاء(٨٤)، وحملته اليد الشريفة النبوية وخصتى على الأقلام بهذه المزية، وأوضحت به للحق منهجاً، وأطلعته في ليالي النجع والشك سراجاً وهماً، وفتحت باب الدين بمساهمة حتى دخل فيه الناس أفواجاً، فهو ذو الرأي الصائب، وشهاب العزم الثاقب(٨٤)، وسماء العز التي زينت من أثاره بزينة الكواكب، والحد الذي كأنه ماء دائم يخرج عند قطيع الأجسام من بين الصلب والتراب(٨٤)، لا تجود أثاره، ولا ينكر قراراه، إذا اشتبث في الدجى والنفع ناره يجمع بين الملتئمين الباس والكرم، ويصاغ في طوق الحديثين، فهو إما طوق في نحو الأعداء وإما خلخل في عراقين أهل الندم، ويحسن به أهواء الغث المضلة، ويخذبه جماحة حروف العلة، وإذا انحى في سماء القتام بالضرب، فقل بإساثونه من الأهل(٨٤)، فهو القوي الاستطاعة، الطويل المعلم إذا قصف(٨٣) سواء في ساعة فما أولاه بطول الإحسان، وما أجمل ذكره في أخبار المعمرين ومقالات الفرسان.
كان الغيب في غمده للطالب المنتجع، وكانه زند يستضاء به، إلا أن دفع الدماء
شبره المتسع، كم قد فادرك الطباع، ومنه نسره بنрасمه العمر من أثر الدماء
 فأجاب، وشطبته الدول لقائم نسره المطرز، وخارف أبهار الفتواج بحذره الذكر، وغدت
أيامها به ذات حجاب معلومة وغير (۳۶) وشدته به الظهور، وحُمدت علائته في
الأمور، واتخذت الملوك حرزاً لسلطانها، وحصنها على أوطانها وقطانها (۳۷)، وجردت
على صروح الأقدار في شأنها، وجردت على صروح الأقدار في شأنها، وتدب فما
أجيت عليه المصالح، وبازر اللمام، فهو على الحقيقة بين البديء والفصل، فرق واضح،
وأغاث في كل قسم فهو إما لغمود سعد الأخيدة وإما لحامه سعد السعودية، وما لضده
سعد الذابح، يجلس على رؤوس الأعداء قهراً، ويشرج أتباع الشجاعة قائلاً للقليل: (ذلك
تأويل ما لم تستطع عليه صبراً) (۳۸)، وهم يفاضر من وقت الموت على بابه، ومن
الحرب الضروس بنابها وقذفت شهاديين القراط بسهبه، ومنح آيات شريفة منها طلوع
الشمس من غربه، ومنها أن الله أنشأ برضه، فكان للمراد مصرياً وللرائد مرعاً (ومن
آياته يريكم الأرق خوفاً وطمتعاً) (۳۹) كما تخذ من جسد طرساً، وكتب عليه حرفاً لا
يُنسى فيه للذيناب عبارة، وللمهاب السائحة عمره بعد غمرة أقول قوله هذا
واستغفر الله العظيم من لغظ يجمع، ورأى الخصام يجمع، ولسان يوجهه
السداد (۴۰) إلى أن يخرج فيخرج، وأتولك عليه في صد أطلال وصرفه، وأساه
الإعانية على كل بحث عن حلفه بظل فهم استختفى في بعض الخمانات وتمثل يقول القائل:
سل السيف عن أصل الفخار وفرعه، فإلي رأيت السيف أفصح مقولاً

(۴۰) منتجع: النجفة عند العرب: الذهب في طلب الكلافي موضوعه، (لسان العرب، ج، ۸، ص، ۲۱۷).
(۴۱) غرنا: مهما، (أونه، لسان العرب، ج، ۴، ص، ۱۴).
(۴۲) ابن بكر: خزانة الأدب، ج، ۱، ص، ۲۲۲.
(۴۳) فصايل: تناول بالمكاني أقام به، (لسان العرب، ج، ۶، ص، ۲۴۴، مادة: قطن).
(۴۴) سورة الكافرون، آية ۸۲.
(۴۵) سورة الرعد، آية ۲۴.
(۴۶) اللد: الخصومة والجدل، (لسان العرب، ج، ۲، ص، ۲۹۱، مادة: لد).
فلم وعى القلم خطبه الطويلة الطائلة، ونشبت الحيلية الجائزة، وفهم كتابته وتوبيخه، وتعزيزه بالذم وتصريحة، وتعديله في الحديث وتعزيزه استغاث بالله في النصير، واحتد وما أدرك ما حدثه يبخير وقام في دواه وقعد، واضطرب على وجه القرطاس وارتد، وعدل إلى السبب الصراع، ورأى أنه إن سكت تكلم ولكن بفؤاده الجراح، فانحرف إلى السيف وقال: أيها المعتز بطبيعة، المغتر بلحمه، النافض حال الإنسان بقطعه، الناجح بهجهره من ظل المعيش في السراب الذي (يحسبه نظممان ماه حتى إذا جاءه لم يجده شيخاً) ١٠١.

الحبيب الذي طالع عليه عوناد شرته الكمين) ١٢٣(، الإبليس الذي لو أمر لي بالسعود فلالا: (خلقته من نار وخلقته من طين) ١٢٣(، أتعرض بسبي وتعتضر كأي حرب آللست هذا الخدع البائقة، والحرب خدعة، والمزن الافحة، ولا يحتم أن تبني

الأنثام نفسه، أتست المسودة الأحق بقول القائل:

نفس عصام سوّدت عصامًا، وعمله الجهود والإقدام

أتذاخريني وأنا للوصول وأنا للقطع، وأنا للعطاء وأنا للمنعن، وأنا للصلح وأنا للضروب، وأنا للعمارة وأنا للضراب، وأنا للمعمر وأنا المدمم، وأنا المقتدي وأنا صاحب التقليد، وأنا الحادب وأنا اللجود ومن أولى من القلم بالتجويد، فما أقف

شبهك، وما أشعك يوماً ترى فيه العيون وجهك، أعل من مثل يشقت١١٤( القول ويدفع الصوت والصوول١٤(، وأنا ذو اللفظ المكن، وأنا ممن دخل تحت قوله تعالى: (أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين(١١٥( فقد تعددت جدك، وطلبت ما لم تبلغ

سورة التوراة، آية ٢٩.

(١٠١( ابن هجة: خرائت الأدب، ج ١، ص ٣٤٢.(١٠٢( الكريم: بماني كامن، (اللغة العربية، ج ٦، ص ٢٠٤.(١٠٣( سورة المزبور، آية ١٢.(١٠٤( يشقت: الشفقية والغلاف، (اللغة العربية، ج ٤، ص ١٨٣، مادة: شقف.(١٠٥( الصول: السطوة، (اللغة العربية، ج ٤، ص ٢٨٧.(١٠٦( سورة الزخرف، آية ١٨.
بي جهد هيهات آنا المنتصب لصالح الدول وآنت في العمد طريح، والتمتع في تهيئةها وآنت غامض مستريح، والساهر وقد مهدّ ك في العمد مضي و المجاس عن يمين الملك وآنت عن يساره، فاي الحالتين أرفع، والساعي في تدبير حال القوم، والمغني لتفعيمهم العلم إذا كان تفكك يوماً أو بعض يوم، فاقتلك عن أسباب المفاخرة، وأستأنيباك عند الكاشرة فيما يحسن بالصامت محاورة المفسح، والله يعلم المفسح من المصلح، على أنه لا ينكر للك التصري، ولا يستغرب منه على مثالي التعدي ما أنا أول من أطباء البازار، وتجرأت عليه، ومدت يد العدوان إليه، أو لست الذي قيل فيه:

شيخ برى الصلوات الخمس نافلة ويستحل دم الحجاج في الحرم

قد سليت النواحة وإنها ترحمل الله عن عباد الرحماء، وجلبت القوة فلك، هيجت سبة حمراء، وأثرت دهاء، وخصمت الوجه، وكيف لا وانت كان طفار كوناً، وقعت النذوات، ولم لا وانت كالمصيح لوانت، أيين ببطشك من حمل، ووجهك من علمي، وجسمك من صبغي:

شتن ما بين جسم صيغ من ذهب (36) وذلك جسمي وجسم صيغ من جلب (37)

أين عينك الزرقاء من عيني الكحيلة، ورؤيتاك الشناعة من رؤيتي الجميلة، أيين لون شبيك من لون الشباب، أيين تذيب الأعواء من رسول الأجيب، هذا ومك أكلت الأكباب غيظًا، وحميت الأضائ، قيظًا وشكت الصدا فسقيت ولكن بشواط (37) من نار وأخذت عليك الأيام حتى انصل بالآباعك الحمار، ولا تعرضك إلي ما وقعت في المقت، وولا إساءتك ما كنت تحمل في كل وقت، فدعك عنك هذا الغفر الميدم، وتأمل وصفي إذا (كشوف عن عنك الغفاة فيصركل اليوم جديد) (37) واقفهم قول ابن الرومي:

إني خدمت القلم السيف الذي خضعت له الرقب ودانت خونه الأسم.

ابن مغنية، ألفانية، من: 235.

اللهيم: ميايم بلدي يجعل البلد أبيض اللون، (لسان العرب، ج، 4، من: 24).

شواط: أي الله الذي لا دخان فيه، (لسان العرب، ج، 49، مادة: شوام).

سورة، آية: 22.

88
فالوق وفلاسفة لا شيء يعادله 
بذا قضى الله في الأقلم إذ بريت

ویرد السيف على هذا القول من قبل القلم:

"أيها المتطاول على قصيرة، واللوزي على طريق غروره، والمحترس في إلى الدمار، والمحترس بفهلو، كما تقول العامة: (لن ته تقي ويتزرس بالنار). لقد شعرت عن ساقك حتى أغرفتك الخمرات، وأتغتنت نفسك فيما لاتدرك إلى أن أذهبتا التعب حسرات، أولست الذي طالما أرعى السيف للهيبة مطفل، ونكس للخدمة رأسك ووجهك، وأخير بعض رعيته وهو السكن، فقطع قفاك ورشق أنفك ورفعك في مهمات خاملة، وحققك ووجدك للاستعمال وقتك".  

فلويت شعرى كيف جسرت، ووبست على مثلي وبسرت، وانت السوقة وانت الملك، وانت الصادق وانت الموتى، وانت لصون الحرام وانت لصون المالك، وانت لحفظ المزارع وانت لحفظ السالم، وانت للفلاح، وانت للفلاح، وانت حاطل الليل من نفسه، وانت ساري الصباح، وانت البعض، وانت الأسرة، وانت المخوم الأبيض، وانت الخادم الأسود، وأقسم بين نسير في قبضتي أن يرغم اليمين السحرة، وجعل شخصك وشخصي كفوله تعالى: (جعلنا الليل والنهار أيهيتين فمحكونا أيه الليل وجعلنا أيه النهار مبصرة)، وإن كن عن بلوغ قدري لأذل رتبة، وعن بري كفي لأخي طلب، فإنني لا أنكر قول بعض أربابك حيث قالوا:

ألف لرزق الكتبة 
ألف له ما أصعبه
يرتفع الرزق به 
من شق تلك القصبة
يا قلماً يرفع في الطرس لوجي ذنبيه

ابن حجة: الغزاة، ج. 1، من 223، 133.

(21)
(22)
(23)
(24)

سورة الإسراء، آية 22.
ما أعرف المسكين إلا كاتباً ذا متربيـه
إن عاينت الديوان وقعت في الحساب والعذاب، أو البلاغة مهرت وبالغت فانت ساقرأ
كذاب، أو فخرت بتقديم العلوم، فمالك منها سوى لمح طرف، أو برقم المصاحف فإنك
تعبد الله على حرف، أو جمعت عملًا فإنما جمعه للتكسير، أو رفعت إلى طرفك رجع
البصر خاصئاً و هو جسيرة (٢٤)، وهل أنت في الدبال إلا خيال تكفتى الهمم بطيئه، أو
أصبح يلمع بها الرزق إذا أكل الضارب بقنائم سيفه، وساع على رأسه قل ما أجد إلـ
واسار بما أعطي قليلاً وأكسي (٣٧) ثم وقف وأكسي، أين أنت من حظى الأسنى (٣٧) وكفي
الأفغاني، وما خصصته به من الجوهر الفرد إذا عجزت أنت من العرض الأدنى، كم برزت
فما أغنيت في مهمة، وكم خرجت من مواطن لتسطير سينه، فخرجت كما قيل من
ظلمة إلى ظلمة (٣٧).
وهل أنت ما قلت مفتش اللسان، جريء الجبان، مداخل يملكل بين ذوي
الاقتناع، معدود من شيوخ الدول وانت في الطرس والنقص بين بناء وغواص، فلو
جريت خلفي إلى أن تمحى، وحشت بصبربت إلى أن تخفى وتخفى، فما كنت مني إلا
بمؤصلة المدرة (٣) من السمك الرائع والعبرة على تيار الضخم الطافل، فلا تدع نفسك
معجزي فإنيك من يمين، ولا تخفف لها أن تبلغ مداي فليس للضروب البنان يمين، ومن
صلاح نجملك أن تعترف بفاضلي الأكبر، وتؤمن بمعجزتي التي بعثت منك إلى الأسود
والأخمر ليستوجب حقاً، وتسليم من نار حبر تلظى لا يصلها إلى الأشقي (٣٦) إن لم
يتضح لرأيك إلا الإصرار، وأثبت حسانك لسانك إلا أن توقيع في النار فلا رعي الله

(٢٦) سورة الملك، آية ٤.
(٢٧) آمند: فنح (لغس العرب، ج ٢، ص ٢١٤، مادة: كفا).
(٢٨) الأسنى: الأعلى (لغس العرب ج ١، ص ٤٠، مادة: سنما).
(٢٩) ابن حجة: الأزراني (لغس العرب، ج ١، ص ٣٧، مادة: سنه).
(٣٠) مدغرة: فنح الأعلى (لغس العرب ج ٢، ص ١٦، مادة: مدر).
(٣١) سورة الكليل، آية ١٥.
(٣٢)
عزمك القاصرة، ولا جمع مقابر ليل نفسك التي إن عادت فإن نعال السيوف لها حاضرة، ثم قللم الكلام وتمثل بقول أبي تمام:

السيف أصدق أبناء من الكتب
في حدة الحد بين الجذ واللعب
بين الصفحات والصخاف في متنين جلاء الشك والريب.
قلما تحقق تحريف القلم حرجة، وفم مقدر الغيظ الذي أخرجه وسمع هذه المقالة التي يقطر من جوانبها الدم، ورأى أن هو البادي بهذه المناقشة والبادي أظلم رجع إلى خداعه وتنحى عن طريق قراءة، وعلم أن الدهر دهر والقدر على حكم الوقت قدره وأنه حق بقول القائل:

أحراب غيرها ملجمون
لحبا معرب وأعجب مسن ذا.
فالتفت إليه وقال: أيها المتلهم في قدحه، والخارج عمًا نسب إليه من صفنه ما.

هذه الزيادة في السباب، والتفنيد في كين الجواب.

واين علم الشيوخ عند جهل الشباب، أما كان الأحسن بك أن تتدرك هذا الرقة، وتعلم أخاك على الشعلة، وتعلم كما زعمت أنك السيد، وتزكر على الغيظ كما يزكر على النار الجيد، أما تعلم أنك معيك في تشبيب المعالك، ورغبك فيما تسلكه لنفعها من المسالك، أما أنا وأنت لملك كالميين، وفي تشبيده كالميين الأشدين، وما أراك بعيني في الأكثر ولا يتحول جسدي الذي ليس خلقه علي، وضعف الذي ليس أمره إلي على أن شهي الخصور أفضها، وأقوى الجفون أضفها، وأزكي الاسماء أعلمها وأذكرها، وهذه سادات العرب تعد ذلك من قضيل الأظهر وحسنها.

(۸۱) قراءة: انفراس بالضرب، (لغة العرب ج ۴، ص ۳۶۹، مادة: قروء).
(۸۲) قراد: ماما، (لغة العرب ج ۴، ص ۳۶۹، مادة: قروء)۔
(۸۳) ابن حجة: الفزانة ج ۲، ص ۲۳۷-۲۳۸.
(۸۴) المرفق: الفضل في الكلام، (لغة العرب ج ۴، ص ۱۶۵، مادة: رفقة)۔
(۸۵) الشعل: الزجل (لغة العرب ج ۴، ص ۱۶۵)، والبيت للناشبة، رحبت بمسيرها لا تليها على شعبه أي الرجال المخلوق
(۸۶) ألمها: الدهر: المرض (لغة العرب ج ۴، ص ۱۲۷، مادة: دفن)۔
الأشهر. ولو أنك تقول بالفصاحئة وتفق في هذا الساحة، لأنكما في ذلك من
شعورهم واتحتفظ بما يفخرون به من أثارهم وكذلك عيبك سواد خلقتي التي
أكسبيها الحب حلية صنّوشت صبغة هب القلب والصدق
فيا الله وبا للحجر الأسود من هذه الحجة اليائرة، والكرة الخاسرة وعلى هذه النسبة
ما عينتي به من فقر الأنبياء، وذل الحكمة، على أن إطارات معروى معرونة;
وسلطان أمري في وجه الأعداء المكسوفة مكشوفة، فاستغفر الله مما فرض في
مقابله، والشقوص من عوائد احتمالك، فلا تشتّت بتنا اضداد ولا تسأل بغرقتنا
المفسدين في الأرض إن الله لا يحب الفساد، وأغضبان الآن من خيالك بعض هذا
العنف، ولا تشك أيّ قسيمة ولو نيلك (يا داود أنا جعلتاك خليفة في الأرض)(87)
وإن أبت إلا أن تهدد وتجريد الشغب وتحدد، فذكري مخلذا من اليد الشريفة السلطانية
الملكية المؤيدة. أبد الله نعمها وجازى بالإحسان شيمها، وأثبت في الآجال والأعمال
سيفها وقلمها، ولا عمل مشاهد المدح من أنفسها، ولا أخطئ قراءات اليأس والكرم من
قيام خمسها، فاقسم من نابّه بالليل وما وقنا، ومن بشر طلعته بالقمر إذا اتسق(88).
لما تجاور الأسد والظباء بتلك اليد لوردا بالأمن في منهل، ورثعا في روض لا يجل،
ولما جاء إليها التهار لما راعه بمشينه الله رواء الليل بجزء، أو الليل ما غلب على خبيه
الأسود النفيض الأبيض من الفجر، وعلى ذلك فإنا ينبغي لنا بين تلك الأشياء غير سلوك
الأنب، والمعاضدة على محو الأذى والتنع والاستقامه على الحق ولا عوج، والحديث
من تلك الراحة على البحر ولا حرج هذه نصيحتي إليك وألدين النصيحة(89).

ونجد هنا أن ابن نباتة بعد أن بين خصائص السيف والقلم وما جاء عنهما في
الكتاب والسنة، وما رافق هذا من صور ناطقة جميلة يصل إلى غاية المنشورة، وهي
أن السيف والقلم ترومان لا يستغني عنهما عاقل، ويجعل هذا على لسان القلم، وقد

87 سورة من آية. 21.
88 وقنا: جمع وقينم. اتقين: اعتدل (نسائ العرب، ج. 4، ص.276، 288 مادة: وقنا).
89 ابن حجة: الفوائد، ج. 1، ص.236-238.
يكون ابن نباتة فصد ذلك لأن صاحب قلم وليس صاحب سيف.

ثم يقبل السيف حجة القلم في الصلاحية ويثبت على الملك المؤيد كما أثني عليه القلم من قبل. فعند ذلك نكسر السيف طرفه، وقبل خطبة العلم قائلًا لأمر ما جدع قصيرًا أنفه، وأمسك من المضافة ضيقة الذيل، فإن السيف معروفة بالخلط، ثم قال:

أيها الضحيف الجبار، والبنازغ في ليل النداد نجمًا وكم في النجم غرو، لقد تظفنت من أمر أنت البادي بظلمه، وتصورت إلى فتح باب أنت السابق إلى فتح خشمة، وقد فهمت الآن ما ذكرت من أمر اليد الشرقية ونعم ما ذكرت، وأحسن بما أشرت، وما أنسابي إلا الشيطان أن أذكره، وقد تغفلت عن قولك الأحسن، وردتُ إلى أمل الدواء كي تقرر عينها ولا تحزن. وسألت أنه تعالى أن يزيد محاسن تلك اليد العالمة تمامًا

على الذي أحسن فإنها اليد التي:

لا أثر التقبل في يد منعم، كفها التقبل.

والراحة التي:

تسعى القلب لفوهها، ولينبها، ففيجبه التامين والتاميل. (٣٢).

والأنتمال التي عنها الله السيف والقلم، ومكنه من رئتي العلم والمعلم.

ودارك بكرماً أتم العفاظة بعد أن لا ول، ولو أن هذا المضمار يضيف من وصفه السابق إلى غابة الفضل، ومحاولة الذي إذا جر ذيله رد الفضل لم تسكن منه الفضل، لا بل في ذكر مجدها الأوضح، واقتبست في مدحها ولا ينكر لثلا إن أنطلقت الصامت فانفصحت، ثم إنك بعدما تقدم من القول المفيد، والجادة التي عند أمرها على العديد، أقررت أن أنتك للملك كالغبنين ولم تخر أيضاً اليمينين، وفي أفلاقه كالقسمين، ولم تذكر أيتها الواضحية الجبين، وما يشفي ضناً ويرفي صدای إلا أن يحكم بيننا من لا بدرّ حكمه ولا يتيح فهمه، فيظهر أينا المفروض من الفاضل، والخائِل من الخذال، ويقصر

(١) برامج: مواصلات الأصابع، واجهد برجم، مجمع الجامعة، ج. ١، ص ١٧، مادة: برجم.
(٢) الخبر: مِن الإفادة، بيني الإفادة، (إسماع العرب، ج. ١، ص ١٧٥).
(٣) نهات: النذاء، (إلمان العرب، ج. ١، ص ١٧٥).
(٤) ابن حجة: خزاعة الأدب، ج. ١، ص ٣٢٩.
عن القول المناظر وقد رأيت أن يحكم بيننا المقام الأعظم الذي أشرت إلى يده الشرفية وتوسعت بمجاينتها الطريفة. فإنه ملك زمامنا ومنشي غماناً، ومصرف كلامنا، وحامل أعابينا، الذي ما هو لهبى، وصاحب أمراً ونيناً، وبالله ما ضل صاحبكم وما غري، ليفصل الأمر بحكمه، ويقدمنا إلى مجلسه الشرف فيحكم بيننا بعلمه، فقد قدم خيرة الله على ذلك الاشتراك وقلل بعد تقبيعينا الأرض له في ذلك البساط: خصمان بغي بعضنا على بعض، فاحكم بيننا بالحق ولا تشنط(33) وأهدنا إلى سواء الصراع، فنشغف الفلم فرحنا، ومنشي في أرض الطرس مرحاً وطرب لهذا الجوهر وخر راكباً وأناب، وقال سماً وطاعة، وشمر الله على هذه الساعة.

الآن ظهر ما تضيفان، وقضى الأمر الذي فيه تستفتيان، وحكم بيننا الرامي المهنير، ونبياناً تحقيقه الأمر ولا يتبين مثل خبير ثم تفاصلا على ذلك، وتراضيا على ما يحكم به المالك، وكانوا أحق بها واهلها  

الرسائل الديوانية:

كان الإهتمام بديوان الإنشاء كبيراً في العصرين الأيوبي والمملوكي. وإن كان قد زاد في العصر الممالي، وذلك أن الرسائل الصادرة من ديوان الإنشاء في ذلك الوقت كانت تشمل جميع الأمور التي تهم الرئيسي أو الدولة، أو علاقات الدولة بالدول الأخرى، خاصة وأن الرسائل الصادرة منها ذات صفة رسمية.

ونتيجة لأهمية هذا الديوان، فقد كان الاختيار من يجعل فيه دقيقاً أيضاً، حيث كانت الشروط كثيرة لملئ هذه الوظيفة (الكتابة في ديوان الرسائل أو الإشراف عليه)، فلا بد من الثقافة الواسعة، والدراية بأحوال الأمام والأجناس، والعرفة الدقيقة للغة العربية، شعرها ونثرها وغيرها من فروع المعرفة الأخرى. وقد تولى ديوان الرسائل وعمل فيه في العصر الممالي، أهم الكتاب في ذلك الوقت مثل القلقشندي صاحب صبع الأمعي، وأبن فضل الله العمر صاحب التعريف بالصطلح الشرف، وكلاهما وضع كتاباً في هذا الفن الكتابي. وقد وضع لنا القلقشندي في صبيح الأعشى

(1) تشجيع النقر، (الساند العربي، ج.2، ص. 242، مادة: شخط).
(33) ابن حمة: الخزانة، ج.1، ص. 244.
الكثير من الأمور الخاصة بهذا الديوان من حيث مستلزمات الكتابة فيه، وأنواع الرسائل وأسلوب الكتابة وغير ذلك. ولعل الحرص على وجود كتاب متمكنين في ديوان الرسائل، جعل فيه الكثير من الدقة. في صيغة الخطاب مما يجعل فيها نوعاً من التعقيد، الذي يزيد عن الجمال.

والرسائل الديوانية أنواع كثيرة تختلف باختلاف موضوعاتها، ومن هذه الرسائل حماة نجد التقليد والبشرة والهيئة والأدية وغيرها.

أما من تكتب لهم الرسائل في حماة بعد المؤيد وابنه الأفضل فمنهم: "أرباب السيف، وأرباب الوظائف الدينية وهم القضاء الأربعة، وقى العدل، ومفتى دار العدل، والمحاسب، وكوكيل بيت المال، ووظائف التدريس والتصديق، ونظر الأحياض، والحاجيج بفيا (1).

وقد كان لعلاقة أبي الفداء العميزة بالملك الناصر محمد في مصر دورها في تمييز مخاطبة أبي الفداء من غيره من الحكام في عهده، فقد خدم الملك الناصر عندما كان في الكرك، بعد أن استولى بيبيرس الجاشنكير على السلطة في مصر، فكان له هذا أثره في نفس السلطان الناصر، فمنحه لقب ملك حماة، وهو أعلى رتبة سياسية في عهد الناصر لحكم الوانابير. وتبني هذا كثير من الاختصاصات التي جعلته مختلفاً عن غيره من النوابة منها، أن له الحق أن يفعل في حماة ما يشاء من إقليم وغير ذلك، ولا ين렴 ولا ينهر، كما أن السلطان الناصر بعد زيارته أبي الفداء الكثيرة لمصر وما رأى من أدب المؤيد وفضائله من خلال مراقبته له في حجة عام 718هـ زاد تقديره واحترامه له حتى أنه كان يركب بشعار السلطنة عند زيارته مصر وينشئ في خدمته أكابر أمراء الناصر حتى ناش الشام في ذلك الوقت كان يمشي في حضنته.

وجمة بين نتائج من تياكت الشام (2).

(17) ألفشقشي: أحمد بن علي الفلكشي (تـ 721هـ) صبح الأمش في سنة الأنشاء، شرع وتعليق محمد حسان منس الديين، دار البصيرة، مكة المكرمة، دار الكتب العلمية، بيروت، 1416هـ، ص 116، 211.

(16) الإرشادي: محمد بن علي (تـ 1325هـ) الباهي الطالب بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة، بيروت، ج 1، ص 151.
وكان الملك الناصر يكتب إليه "أعز الله أنصار الامام الشريف العالي الملكي المؤيدي، ونائب الشام وهو أكبر النواب يكتب إليه ويخبر الأرض، و"هذا النظيف ينفرد بالسلطان الأعظم، وكان الناصر في رسم الملك يكتب إليه ذلك" (66).

كما أنه بخطبه بلفظ (أخي)، وأما غير نائب الشام فيكتب إليه يقبل الأرض وينهيهم (66).

ويأتي هذا الرسم في الملكية حتى عهد الملك الأفضل، فكان رسم الملكية إليه "أعز الله تعالى أنصار الامام الشريف العالي الملكي الأفضل الناصري ثم الدعاية. وبعد: أصدرنا إلى الامام الشريف والعلامة (أخوته) وتعريفه (صاحب حماة).

ويأتي هذا رسم الملكية إلى حماة حتى عزل عنها الأفضل (100).

- وسائل التقليد:

ومن وسائل التقليد، تقليل الملكه الزائد بملكية حماة، والخريج وبارين تمليك، والتقاليد بناءه. فمثلا بعد البسالة الحميدة لله الذي عقد الملك الشريف بعمادة، وأورث الجد المبارك سعادة أجداده، وبلغ وليا من تباهي باب ملوك بني الأغمة فوراده، فأصبح جامع شملها، ورافع لواء فلسطنة، وناشى جتناح عدلها، ومنه محمد الله على أن بناء الملكة، وكتب كفياً بناءه استثناء حماة، ومنه وتشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، أما بعد، فإن أولى من عقد له لواء الولاء، وتشيرت بإسمه أسرة الملك وذوي المناور، وتصدرت أحكامه في ما يشاء من نواة وأوامر. وتتجلى في سماوات الامام الشريف، وفرقة فصبه في دستور مقيم من سلف، وأخيل في أيامنا أواهر من درج من أسلافه إدا هو بمقابلنا إن شاء الله خير خليف، من ورث السلطنة. لا عن كلله، واستحمها بالأصالة والأمثال والجلالة، وأشرقت الأيام بغرة وجهه

---
(66) السنفلي: الدور الكامن، ج. 1 ص. 297.
(67) الشوكاني: البدر الطالب، ج. 1 ص. 162.
(100) القدصيدي: 7 ص. 149.
المثير، وتشير ذلك إلى صدور الحاج وتشوق إليه بطن السيد، ومن أصيح لسماء الملكة الحمومية وهي زين أمالها، ومطلع أفلاكها وهو المقام العالي العملي إبن الملك الأفضل نور الدين على أبن السلطان الملك المظهر تقي الدين ولد السلطان الملك المنصور ولد السلطان الملك المظهر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب، وهو الذي ما برح بعيون ملكته إليه ممشوكه وسما الحال يتلؤ ضمن الغيب كل الله ملك الملك تؤتي الملك من تشاء إلى أن أظهر الله ما في غيبه المكنون. وإنجز له في أيامنا الوعود وصدقت النظرة، وشيَّد الله منه الملك بأرفع عماد، ووصل ملكه بملك أسلافه بسيبقي في عقبه إن شاء الله إلى يوم النهاد، فذلك رسم بالأمر الشريف العالي الوالي السلطي الناصري الباهري لا زالت الملك منغصورة من عطائه، والملوك تسري في ظل كنفه تحت مسbool غتهان، أن يستغرق في يد المقام العمادي المشارك إليه جميع الملكة الحمومية ولبلداتها وأعمالها وما هو منسوبي إليها ومباسرة التي مر فيها قلبه وقصمه، ومنابها التي يذكر فيها اسم الله تعالى واسمه وكثيرها وقبلها، وحقيقها وجليلها، على عادة الشهيد الملك المظهر تقي الدين محمود إلى حين وفاته، ومنه وقلدته ذلك تقليداً، يضم للنعمه تحليداً، وللسعادة تجدداً، ومنه في آخره، والله تعالى يؤمل بالنصر مغناه ويجعل ببقاته صورة دهر هو معناه، والاعتماد على الخط الشريف أعلاه، وكتب في الخامس والعشرين من ربيع الآخر سنة اثنتي عشرة وسبعين سنة حسب المرسوم الشريف، والحمد لله وحده وحده وحده، وصحبه وسلم(١). وتذكر ابن فضل الله في حديثه عن التقاليد إلى أن التقاليد لا تكون إلا لكفاء الملك، كاكابر الدوّاب، والوزراء، ومن كان في مقامهما، وقد يكون لكباير قضاته

القضاة، وأما عامة القضية فالواجب أنه لا يسمى ما يكتب لهم إلا تفاويض، (٢)

أما قطع الورق الذي يكتب فيه التقاليد، فإن نائب حماة يكتب له تقليد في

(١) النصر، ج. ٤، ص. ١٨٨

(٢) كتب ابن فضل الله أحمد بن يحيى (٦٧٤) التفاويض بالمسائل الشريف، دراسة وتعقيب سمير الدربوي، منشورات عمادة البحث العلمي، جامعة مكة، ١٩٩٢، ط. ١، ص. ٢١٢.
ورق قطع الثلاثين، أما أرباب الوظائف الدينية فإن القضاة الأربعة يكتب لهم في قطع الثلاث، وهناك من يكتب له في قطع العادة، مثل قضاة العسكر، ومفتي دار العدل.

والأقسام التقليدية أربعة: أو لها الخطبة، يقول ابن فضل الله في الخطبة "وامًا التقاليد فلا يستفتي إلا بالخليفة لله وليس إلا، ويفت في عシリーズنا تقليد شريف الكفالة بكافه (٢٤)، وتقلد الملك المؤيد الذي أعطاه النبي الناصر سنة ٢٧٢، بمملكة حماة، والمعرة ببارين تبلغه، وأرده أبو الفداء في المستصفى، إلا أنه اختصر منه أشياء، إذ يقول: "ورسم أن يكتب لي التقليد بمملكة حماة والمعرة وبارين تعيينه، ولولا هدف التواصل لأوردنا التقليد عن آخره لكتابه أن تذكر منه فصولاً يحصل بها الفرض طلباً للاختصار (٢٥).

وأول ما بدأ به تقليد الملك المؤيد، هو بالمملكة والتمييز، وهذا الاتساع الأول من أقسام التقلد: "فمنه بعد البشملة، الصمد الله الذي عضد الملك الشريف بعمامة، وأورثه الجد السعيد سعادة أجداده، وبلغ ولي، ونبا من شبابه ملك بني الأحمر غابة مراده ومنه، فكسيح جامع شملها، ورافع لواء فضله، وناشر جناب عدلها (٢٦)، ومنه: ديمم الله على أنه صان بنا الملك وحتى، وكيف بكفنا التطال على استشراق حماة، ومنه، وتشهد أن لا إلا إلا إلا إلا إلا إلا إلا إلا إلا إلا إلا إلا إلا إلا إلا إلا إلا إلا إلا إلا إلا إلا إلا إلا إلا إلا إلا إلا إلا إلا الأسس.

أما الأقسام الثلاثة الأخرى في التقليد فهي، ذكر مواقع الإعانة للمقلد ورتبته، وما يتبع ذلك، من أوصاف يضيفها التقليد على المقلد، وهو الثالث من التقليد، والرابع يكون في الوضايا التي يقدمها التقليد للمقلد، وقد أشار ابن فضل الله إلى

(1) الخطشي، ج. ١٢، س. ١٩٧.
(2) ابن فضل الله، التعرف، ص. ١١١.
(3) أبو الفداء: المستصفى، ج. ٤، س. ٨١.
(4) أبو الفداء: المستصفى، ج. ٤، س. ٦٨.
(5) المصدر نفسه، ج. ٤، ص. ٨١.
هذا التقسيم يقوله: "وأما التقاليد فلا تستفتي إلا بالخطب... ثم يذكر ما ينصح من حال الولاية وحال الموال، وأنه لم يرد أحد من ذلك الموال، ويسمى ثم يقال ما يفهم أنه هو المقدم الوصف، أو المتقدم إليه بالإشارة ثم يقال، رسم بالآمر الشريف العالي الملوك، السلطان، الملكي، الفلاسي. ويدعى له أن يقلد كذا أو أن يفرض إليه كذا، ثم يوصى بما ينسب تلك الولاية مما لا بد منه، ثم يختم بالدعاء" (١٨).

وفي تقليد الملك المؤيد قد لا تكون الأقسام ظاهرة بوضوح لاختصاره من هذا التقليد الشيء الكثير، ومنه بعد الخطبة وهو القسم الذي يتحدث عن أهمية رتبته في حماة، يقول التقليد "أما بعد نبان من أولى من عقد له لواء الولاء، ونشرت باسمه أسرة الملوك، وذوي المناصب، وتصرفت أحكامه في ما يتناول من نواه وواوامر، وتجلى في سماه السلطنة شمسه، قام في دستها مقام من سلف، وأخف في أيامنا من درج من أسلافه، إذ هو ببقاعنا إن شاء الله خير خلف" (١٨٠).

ومن الأوصاف والصفات التي أضافها عليه التقليد: "ومن أصيب لسماء الملكة الحموية وهو زين أملاكها، ومطلع أفلاكها، وهو المقام العالي العمادي... وهو الذي ما برح عيون مملكته إليه متشوق، ولسان الحال يتو بمثال الفقيب، كل الهم ماك الملك تؤتي الملك من تهجة إلى أن أظهر الله ما في غيبه المكنون، وانجز له في أيامنا الوعود وصدق العظوم"، ثم يذكر التقليد في آخره، الغاية منه، ويدكر اسم النيابة التي صدر من أجلها التقليد. "هذا رسم بالأمر الشريف العالي الملوك، السلطان الملكي الناصر، الباهري، لا زالت تعالى مغمورة من عهده، والملوك تسري من ظل كنعه تحت مسيب غزاث، أن يستقر في يد المقام العالي العمادي المشار إليه جميع الملكة الحموية وبلدها وأعمالها، وما هو منصب إليها ومباشرتها التي يعرضها قلمه وقسمه، ومباشرها التي يذكر فيها اسم الله تعالى واسمه، ومنه في آخره والله تعالى يسهل بالنصر معناه، ويجعل بقائه صورة دهر هو معناه، والاعتماد على الخط

(١٨) ابن فضل الله: التعرف، ص ١١٦
(١٨٠) أبو الغداء: الخصصر، ج4، ص ٨٧
العهد:

- هو نوع من الرسائل الديوانية يعطي لولاية العهد أكاوا ولاية العهد للسلطة في مصر، أم ولاية العهد في النيبات. والرسالة التي بين أيديهما هي عهد للملك الأفضل بحمامة، بعد والده الملك المؤيد. وقد أشار القلقشندي إلى رسائل العهد في حمامة، عندما ذكر أن العهد يكتب للحكام من الأوببيين في حمامة وذلك لسبب تجعلهم يستحقون مثل هذه العهد. حيث يترتب على هذا العهد أن سلطانها كان يستقل بإعطاء إمراء والاقتصادات وتوليد القضاء والوزراء وكتب السر وكل الوظائف، وكتب المناشير والتوقيع من جبهته. ويؤكد على هذه المزية التي تميزت بها حمامة. وكان للملكة بذلك زيادة أبهة وجمال كون صاحبها يتح يده من هو متصرف بالسلطة بتصرف فيه بالولاية والعزل.

وقبل أن نذكر عهد الملك الأفضل بولاية حمامة، لا بد أن نذكر قطع الورق، للعهد، وقلمه، وكيفية وضعه في الورق. حيث أورد القلقشندي كل ذلك في صبح الامشي. وكتبه العهد في قطع ورق البغدادي، ولكن قطع دون القلم الكامل للولايات لأنه في عهد السلطنة يكتب في البغدادي الكامل، والقلم الذي يكتب به العهد لولي عهد السلطنة بالطومار، أما في الولايات فهو دون ذلك. أما كيفية كتابة العهد في الورقة فقد أشار إليها القلقشندي بالتفصيل في صبح الامشي.

أبو القلائد: المختصر، ج 4، ص 28.
القلقشندي: صبح الأمشي، ج 186، ص 187.
القلقشندي: صبح الأمشي، ج 186، ص 187.
المصدر نفسه، ج 1، ص 191، 192، 193.
المصدر نفسه، ج 196، 192، 193.
وعبد الملك الأفضل كتبه ابن فضل الله العمري، والذي ورد في الجزء العاشر من صبح الأعمش بن مسحه: "الحمد لله أقرّنا، وتدبر مصائب ملك ولا
ولده الأفضل لم يكن له شبيه في فضله، ورواه بنا بيت السلطنة من أبقى البقايا ما
بلحق به كل فرع بأصله، ويظهر به رونق السيف في نصله.

نعمدة على ما أفاض بهمباينا من النعم الفوزان، وانحل في طاعتنا الشريفة
من ملوك الأقطار، وزاد عطياتنا فأضحكت وري ممالك وأقاليم وأمصار، ونشد أن لا
إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أقلح من مات من ملوك الإسلام عليها، وحرص بها
في الجهاد على الشهادة حتى وصل إليها، ومدا بدها لبيعتنا على إعلانها فسافقت
الجراح ببسط يدنا، ونشد أن محمدًا عهده ورسوله الذي شرف من تسمى باسمه أو
مات بالقربى إلى نفسه، وصرف في الأرض من تسمك من رعاية الأمة بسببه، وأكرم
به كريم كل قوم وجعل كلمة الفضار كلمة باقية في عقبه، صلى الله عليه وعلى آله
وأصحابه ما ناح حمام لحزن ثم غطى من طربه، وسلم تسلمياً كثيراً.

أيها الآباء، فإننا والله الحمد- Мыmerc نحفظ بأناسنا كل وربية، ونتقبل من أصل
من الملوك على سؤال صدقائنا الشريفة كل ذريعة، ونتكلف من مات على ولادنا بما لو
راءه في ولده لسيرها ما جرى، وعلم أن هذا الذي كان يعتمد أن يعيش حتى يصبر هذا
اليوم ويرى، وكان السلطان الملك المؤيد عمار الدين - قدس الله روحه - هو بقية ببيته
الشريف، وأكثر من جل من ملوكهم في ذروة عزهالنديف ولم ينزل في طاعتنا الشريفة
على ما كان من العطاء عليه، وعن الحاسن التي لقي الله بها ونور إيمانه يسعى بين
يدية فوجبنا له من المملكة الخمسونية المروسة ما كان قد طال عليه سالف الأمد،
ورسمنا له بها عطية باقية للوالد والولد، فلما قارب انقضاء أجله، وأشرف على ما
قدمه إلى الله وإلينا من صالح عمله، لم يشعرنا ما به من مطالبة أبوبنا الشريفة
والذكرى بولد، وتقاضي صدقائنا العميقا بما كان ينتظره قمره المثير لفرقة، وورد
من جهة ولده المقام الشريف العالي، الودي، السلطاني، الملكي، الأفضل، الناصلي،
-أعز الله أنصاره- ما أزعم القلوب ببصبه في أبيه، وأجرى المعيون على من لا تقع
له شبيه، فوجدنا من الحزن عليه ما أبكي كل سيف دمآ، وأن كل رمح يقرع ستة ندمًا.
وتشتغنا على ملك كاذب يكون من الملالي، وأُخُوٍّ كريم أو أعْزُز من ذلك، وسلطان عظيم طاماً
ظهر شنب بوارقه في شغور المسيح، وقُمنا من الحزن في مشاركة أجله بالندوب، ثم
قلنا: لكم في ولده العوض ولا ينظر لكم الصبر يا آل أيوب.

فاقضت مراسعنا المطاعة أن ترحيَّتُ إلى مقامتنا العالِي، ونعقد له من ألوية
المملكة ما تتهزم به أطراف العواقل، وتركيه من شعار السلطنة بما تتجمَّل به مواكبه،
وتمتد به عاصبه، وتمس من الحب وتمتد رقابها بالرقبة السلطانية جنائيـة، تنزهـاً
لخواطركم الكريم علينا عن قول لير، وتنوُّها بقدر بيتكم الذي رفع لكم إسماعيل به
قواعد البيت: لما نعلمه من المقام العالي الملكي الأفضل الناصري–أمع الله ببقاته–
من المناقب التي استحقق بها أن يكون له علينا الملك، والعزم الذي قلد بها من
المملكة ما تجلب به الجياع وتجري به الفلك، مع ماله من الكرم الذي هو أوقى من
العهد بعه، والفضل الذي أصلله ميراث الأضلاعية من جده، والجود الذي جرى البحر
معه فاحمرت من الخجل صفحته خده، والوصف الذي لم يرض بالجواز واسطة لعقده،
والعدل الذي أشببه فيه أباه فما زعيم، والعلم الذي ما خلا به بابه من طلب: إما لَدَى
وإما لكرم، ولم يخرج من كفاحه والده إلا إلى كفالتنا التي أطللته بسحدها، وحلت
سماء ملكته بشبها، وكما كأ تخطب والده –رحمه الله– بمقام الشريف،
وأجرينا في ألقابه مجرى الود زديادة له في التشريف، وصرفنا أمره في كل ما كان
للكلمة أهله فيه تصريف، وسردناه إلى أوضع طريقة، ويقوم مقام أبيه أو ليس

الناصر هو أبو الأفضل حقيقة، ورسمنا بطوله إلى [ما] بين أبدينا الشريفة لتجدد
له في نظرنا الشريف ما يتضافع به سعده، ويزداد سعده، وبثماثيل في هذا البيت
الشاهشي أياً وآياً، ووجدناه: لتعمل معا صدقاتنا الشريفة ما هو به جدير،
وترفعه إلى أعز مكان من صهوة البضور والسرير، وتكتاها به كل سلطان وما هو إلا
جاحل يسير، لتشيد به أركان هذا البيت الكريم، وتحيا عظامه وهي في اللحود عظم
رميم، وتعرف الناس أن عنايتها الشريفة بهم تزيد على ما عهدوه لجدد القدم من
سمينا الملك الناصر القديم، فخرفت المراسيم الشريفة، العالية، المهلوية، السلطانية،
المملكة الناصرية: لا زالت الملكو تتقلد منهن في أعناقها، ولا برحت المالك من بعض

12-
مواهبها وإطلاقاتها، أن يقد هذا السلطان الملك الأفضل - آدام الله نصره - من المملكة الحموية وبلدها، وأمرائها وأجيالها، وعمرها وتركمانها وأكرادها، وقضاياها وقضاياها، ومنها ورعاها، وأهل حضايرها وبواديها، وعمراها وبراريها، جميع ما كان والده - رحمه الله - يتقنها، ويسعي وقلمه بجريه ويجبره: من كل قليل وكثير، ولجليل وصغير، وفي كل ناصور به وأمير، وينظر فيها وفي أهلها ما يعلم أن له ولهم فيه صلاحاً، ويقيم من هيبة سلطانه ما يغنيه أن يعمل أستاً ويجبر صفحاً، ولهم فيهم فيها وفيّن هو فيها بعدله، ويجمع كلوب أهلها على ولايته كما كانوا عليه لأبيه من قبله، وليكن هو وجوهده وعساكره أقرب في المهم إلى مصالح الإسلام من رجع نفسه، وأمضى في العزائم ما يشتبه بها من سيفه وقبسه.

وأما بقيتٌ من الواجبات، أو يد إن له من كرم السجايا، فهو - بحمد الله تعالى - غريزة في طباعه، ممتزج به من زمن رضاعته: إنما ذكره ببعض ما به ينيرك، ونضحه على اتباع أبيه فإنها الغاية التي لا تدرك: والشرع الشريف أهم ما يشقل به جميع أوقاتها، وتقوى الله فيما ينتصر الملك إلا بقتائه، والقدرة في مصالح البلاد ورعاية فإنها مادة نفقاتها، واستكشاف الجنود فإنها حصن المذيع في مقاتله، ومبادرة كل م عن أول موقات، وولايات الأعمال لا يعتمد فيها إلا على ثقافته، وإقامة الحدود حتى لا ينسى في تركها إلى رقي رقاتها، ورعاية من له على سلفه خدمة سابقة، واستجواب الأممية الصالحة لنا ولله فإنها للسماحة مسابقة: ولديسه في الأسوار عزمه فإن مدرك، ويبسط العدل والإحسان فإنها بهم إلينا يبتز وليأخذ بقلوب الرعايا فإنها تنقلب، وليمز وكفاءة الوفود ليقف بهم - لنجوم مقاصدهم - على باب صحيح مجزر، وليجتهد في الجهاد، ويبقون والسيف مكتدل الجفن بالرقد، ويهتم فإن الهم العالي تقوم بها عواشي الصيانة، ويقوم الأريد فإن في تقوعه بقاء الملك وعمارة البلاد، وليقف عند مراسمنا الشريفة لتحديه إلى سبيل الرشاد، ويحسن سلوكه لبطر بذكره كله أحد ويتركون كل حاد: وغيفر هذا من كل ما عهدناء والده - رحمه الله عهد بما سالها، ولزمة أمره الجميلة مالكة، مما لا يحتاج - مما تعرفه من سيرته المشابه - إلى شرحه، ولا يد نهاره الساطع على صيحة صبحه.
وليبشر بما جعل له من فضله العلماء، ويتمسك بوعدها الشريف أن هذه الولاية له ولأبنائه وأبنائه ما وجد كله من نسبهم العلماء، والله تعالى يمدك -أيها الملك الأفضل- بأفضل مزيد، ويجفف بك ما أبقاه لك أبيك «المؤيد» من تأييدك والاعتماد على الخط الشريف أعلاه، إن شاء الله تعالى«(115)».

واول خاطب العهد، وكلاً كانت الخطبة مطولة، كلما دل هذا على رتبة الخاطب، ويبدأ العهد بذكر اسم من تولى العهد وهو هذا الأفضل: هذا عهد الشريف عذبت موارده، وحينئذ بحسن النببة فيه مقاصده وعاد على البرية بالميمنة عاده، من السلطان الأعظم ناصر الدين، للمقام الشريف العالي الملكي الأفضل محمد«(116)».

وتأتي خاطبة العهد التي تشمل، الحمد لله والشكر لله: «الحمد لله الذي أقر بنا الملك في أهل أهله، وترارك مصباح ملكك لولا ولده الأفضل لم يكن له شبيه في فضله، ورهبنا بنا بيت السلطنة، من أن بقي البقايا ما يلحق به كل فرع بأصله ويفتر بين رونق السيف في تصلبه»«(117)».

ويذكر العهد مقدار هذه الولادة ومكانها لدى السلطان «فإنا وله الحمد من تخفظ بإحساننا كل ودعة، ونتقلب من أقبل من الملوك على سؤال صدقاتنا الشريفة كل ذريعة، ونتكلم من مات على ولائنا بما له رأى في ولده لسره ما جرى، وعلم أن هذا الذي كان يعتقد أن يعيش حتى يبصر هذا اليوم ويري»«(118)». ثم يذكر العهد الصفات التي يتصرف بها الأفضل، وهي في الغالب الأمانة، والصدق، والشجاعة، والكرم وغيرها، ونعلمه من المناقب التي استحق بها أن يكون له علويه الملك والمزايا التي قلد بها من الممالك، ما تجول به الجياد وجري بين الفلك مع ما له من

المصدر نفسه، ج.1، ص.192.
المصدر نفسه، ج.1، ص.192.
المصدر نفسه، ج.1، ص.192.
المصدر نفسه، ج.1، ص.192.
المصدر نفسه، ج.1، ص.192.
المصدر نفسه، ج.1، ص.192.
المصدر نفسه، ج.1، ص.192.
المصدر نفسه، ج.1، ص.192.
المصدر نفسه، ج.1، ص.192.
المصدر نفسه، ج.1، ص.192.
المصدر نفسه، ج.1، ص.192.
المصدر نفسه، ج.1، ص.192.
المصدر نفسه، ج.1، ص.192.
المصدر نفسه، ج.1، ص.192.
المصدر نفسه، ج.1، ص.192.
المصدر نفسه، ج.1، ص.192.
المصدر نفسه، ج.1، ص.192.
المصدر نفسه، ج.1، ص.192.
الكرم الذي هو أوفي من العهد به، والفضل الذي اتصل به ميثر الأنضجية عن جده، والجود الذي جرى البحر معه فاهمر من الخجل صفحة خدهٰ(١١١).

ويأتي في آخر المعهد وصايا وتوجيهات لهذا الحاكم الجديد، والتي من شانها أن تضمن له الاستقرار والأمان، ومن هذه الوصايا "وأما بقية ما يلقي من الوصايا أو يدل عليه من كرم السجيا فهو بحمد الله تعالى -عذزة في طماعه، متوسط من مسان رضاه، وإنما ذكره ببعض ما به يترك، وتحضه على إتباع أبيه فإنها الغاية التي لا تدرك، والشرع الشريف أمرها ما يشغله به جميع أوقاته، وتقوي الله فما ينتصر الملك إلا بتفاته، والفكرة في مصالح البلاد والرعايا فإنها مادة نفحاتها، واستثمار الجنود فإنهم حصنه المثير في ملائتهٰ(١٢٠).

ويستدعي المعهد بالدعاء "والله تعالى بعدك أيها الملك أفضل بأفضل مزيده، ويحافظ بك ما أبقة لك أبوك (المؤيد) من تأبيده والاعتماد على الخط الشريف أعلاه"(١٢١).

المراةم:

وذكر ابن فضل الله في التعريف، "أنها تكون في صفائر الأمور التي لا تتعلق بالولاية، وإذا استقبلت المراةم بالبسمة، بل هذا على أهميتها وما لا يستفتتح بالبسمة فهو أقل أهمية، وتكتب المراةم التي من هذا النوع في ورق قطع الثلث، ولقم التوقيعات"(١٢٢).

(١١١) 
(١٢٠) 
(١٢١) 
(١٢٢)
والرسوم الذي بين أيدينا من الملك الناصر محمد إلى الملك المؤيد، وذلك عام 1263-1264 عندما أمر السلطان الناصر بإخراج المعرة عن حماة وذلك بطلب من الملك المؤيد الذي ألقى على السلطان في ذلك، حتى يستطيع التخلص من تدخل بعض أمراء المالكين الذين كانوا في حماة وانتقلوا إلى حلب، فبقيت إقطاعاتهم في حماة، وأخذوا يستغلون وجود هذه الإقطاعات، لتقدم الشكاوى ضده للسلطان، فكان لا بد من أجل التخلص من نفوذهم من ذلك، كما يشير في المختصر "فلم أحد لذلك ما يحسمه إلا يتعين المعرة وبلادها لل أمراء المذكورين وإضافتها إلى حلب"(123).

والرسوم بنصه وهو ليس كاملًا: أختصر منه المؤدي أجزاء: فنذل اسم بالامر الشريف العلوي الملك الناصر، أن يقتير ببيه حماة وبارين بجميع حدودها وما هو منسوب إليها من بلاد وضياع وقرى ووجبات وأموال ومعاملات وغير ذلك من كل ما ينسب إلى هذين الإقليمين ويدخل في حكمهما، يتصرف في الجميع كيف شاء من تولية وإقطاع إقطاعات الأمراء والجنرل وغيرهم من المستخدمين من أرباب الوظائف وترتيب القضاة والخطباء وغيرهما، ويكتب بذلك منشورين وتوافيع من جهة ويجري ذلك على عادة الملك المظفر نقي الدين محمود صاحب حماة، ويقيم على هائط الجهتين خمسمائة فارس بالعدة الكاملة من غير تقص، ويبطل حكم حما ما عليهما من المناشير والتواقيع الشريفة والمسامحات والحسن، وكلما هو مرتب عليهما للأمراء والجنرل والقراصنة، وغيرهم بحكم الإعداد بها على المشار راية على قاعدة الملك المظفر صاحب حماة، وتعيوض الجميع عن ذلك بالمعرة، وإفرادها عن حماة وبارين، فليسكن جمع ما ذكر بعده المفهوم استقرار الدور في أسلوبها، والدراجي في أفلاكها، يتصرف في أحوالها بين العالام بينه وأمره، ويجري أحوالها بين المستويين بإعانة ويدله، ولا يضي فيها أمر بغير منشوره الكريم، ولا يجري معلوم ولا رسول إلا يمررسنه الجارية على سن لسنة القدم، وليفعل في ذلك بجميع ما أراد، ويتصرف على ما يختار فيما تحت حكمه الكريم، وبحكمه من مصالح العباد.

(123) أبو الغفدة: المختصر، ج، ص: 273، المرة: وترجم معرفة النص الكنفية إلى النص الكنفية بشرف، وهي مدينة قديمة مشهورة، تشتهر بالزيتون، والتين، إضافة: مجموع البلدان، ج، ص: 156).
والبلاد، والله تعالى يعفي بفماخر عماده، ويجعل التأييد والنصر قرين إصداره وإيراده، والخط الشريف حجة بمضمونه إن شاء الله تعالى، كتب في تاسع عشر الحرم سنة ثلاث عشرة وسبعماة.

ويشمل المرسوم القرار الملكي بإجراء المعركة من حكم المؤيد، ثم بيان اختصاصات المؤيد وتأكيدها في حماة، ومن هذا المرسوم: "فذلك رسم بالأمر الشريف العالي الملكي الشريف الملكي الناصر في بيده حماة وبارين بجميع حدودها أمّا اختصاصاته فيها فهي: يتصرب في الجميع كيفة من تولية وإقتحام إقطاعات والأمراء والجند وغيرهم من المستخدمين من أرباب الوظائف أو ترتيب القضاة والخطيباء وغيرهما ...".

- وسائل التعزية:

ومنها رسالة تعزية للأفضل بموت الملك المؤيد كتبها الصوفي من مصر، وهي:

"جعله الله خير خلف، وهذا البيت الأيوبي بما ورثه من الجد الموئل والمشرف، وسقي صوب الرحمه أصله الذي قرع دولته الطاهرة وسلف تقبيل من صدع النها جبر قلبه، ومنص كف السرور غمّر دمعه الذي يذهب بهبه، وينهي بعد الدمع الذي أجهب بالقلب앙قلالة رفعه، واللواز الذي لم يضبه العبودية ربعه ولا ذرعه، والثناء الذي أشجع تغريد الحمام في الحمائم سجعه، أن مثاله الكريم ورد على يد قنال يتضمن ما قدّره الله تعالى من وفاة المقام الشريف العمادي، والملوکا قدّس الله روحه الكريم، وسقي بديرة ضُمت صوب كل دلجة، فوقع الملك على الخبير الذي روع العباد، وغدا كل قلب كأنما يجر له على شوك القتاة، ونظر إلى النجوم كأنها خرائد سافرات في حداد، فأرسل المماليك دمعهصب على الحبيب الذاهب، وأذن من قسمة الأحزان بين الأئام نصبه الواجب، وكيف لا يعمّ الوجود هذا المصاب وتبين الدموع يسحّبا سهّ.

 أبو الدفّاء: القصري، ج.۴، ص۴۷۷.
 المصدر نفسه، ج.۴، ص۷۷۷.
السحاب، وقد كرّت الشمس ولا نقول انقض الشهاب، وغيض البحر ولا نقول انقض
الرياب ووى عماد الملك ولا نقول انقضت الأطناز، وفعجل بمن أثّرت أباديه الأعناق
 قبل أن حمل على الرقب.

رَدَت صناعته عليه خيبرته فكانه من نشّأها منشنٌصور

وللوقت طالع الملوك العلوم الشرفية بذلك ورد الجواب يتضمن شمول مولانا
بالصدقات الشرفية، وإقامته مقام والده قديس الله روحه، فهنا الله مولانا بهذه
البشرى التي صدقته الرجاء، والمرأة التي رميت سطورها على كافور النهار بعنبر
الدجاج، وما أحق هذه البشرى أن تهتز لها أعطاف المنابر، وأن تنطق بحمدها ألسنة
الآمال بين أفواه الحاب، وأن تعد نعمها أشقال الرآيات إذا ذكرت، وأن تندو صفحات
السيوف من دم الأعياد إذا استشقت، والله يجعل الأيام بدولته الزاهرة، ويجعل
الآثار على مراده ومراميه متظاهرة، بنعته وكرومه، إن شاء الله تعالى،(116).

وقد شملت هذه الرسالة في أولها التعزية، ثم بعد ذلك التهنئة للأفضل بملك
حماة، ولعل هذا يوحي لنا الطابع الرسمي، مثل هذه الرسائل التي كان هدفها،
تبليغ الأفضل بملك حماة، بعد وفاة والده، على الرغم من أن الوقت ليس متاسباً
للتهنئة، وبدأ الصغري رسالتاه بالدعاء للمؤيد بالرحمة جعله الله خير خلق، وهذا
البيت الآبوي بما ورد من أن الجد المؤثر والمشرّق، وسقي صوب الرحمة أصله الذي
فرغ دولته الظاهرة (117). وتصوّر لنا هذا الرسالة، المصايف الآليم الذي عمّ يموت
المؤيد. ورد على يد فلان يتشمّن ما قدّره الله تعالى من وفاة المقام الشريف العمادي
قدّس الله روحه الكريم وسطى ترقب ضمت صوب كل ديمة فوقف الملوك على الخبر
والذي روع العبد وعطا كل قلب كأنما يجرّ له على شوك الفتاد (178).

(116) المصدر نفسه، ج2، ص444.
(127) المصدر نفسه، ج2، ص443.
(128) المصدر نفسه، ج2، ص447.
ويخلص الصافي في رسالته من التعزية إلى التهنيئة "ورود الجواب الشريف
بتضمن شمول مولانا بالصدقات الشريفة، وإقامته مقام والده قُدُس الله روحه، فهناك
الله مولانا بهذه البشريه، التي صدقت الرجاء والسرة التي رقعت سطورا على
كأنور النهار، بعنبر الدجا وما أحق هذه البشريه أن تهتكر لها أعطاف المناجر"(12).

البشيوات:

ومنها رسالة ببشارة وفاء النيل في مصر، كتبها الصوفي للملك الأفضل
بنصها: "أعز الله أنصار المقام الشريف، وجعل رسل الهدى تتوارد على مقامه نزري،
وابجهه بكل شئ من الخصب، يتحرف له البرق حسدا في قلب الساحب ويتذكى،
وسره بكل خبر، يتفقد به محل، نقل وويغفي، ونعمه بكل وارد يقرر عليه حديثاً,
جعل البر بحرا ولال البحر براءا، أُصِدَرَناها إلى مقامه الكريم تجد رمي عهود، وتقص
سلاماً بتردد إليه، ترد اندحرار البحر في انحصار وصعوده، ويبدو ثناء لا يزال بين
خفيتواته ويقوده، وتبدى إلى العلم الكريم إنه ورد ركبنا الشريف إلى محل ملكه,
ومجرة فلكه، ومجري فلكه، فوجدنا النيل المبارك قد جعل الأرض لجة، وأرخي نقاب 
تياره على وجه كل محجة، وارتفع إلى أن جعل على هضاب الساحاب مقره، وزاد إلى
أن كاد يمازج نهر المجرة، وثبت سرايا مقدمات فتحملت في كل فج وفجوة، وانطفف
حول أزرار الأهرام كالمرورة، وشرب نم الملف فهر من تحت جباه القلوع كالقهوة,
وا تنصف بصفات الأولياء، فبينا هو في أقصى الجنوب إما هو في أقصى الشمال,
والأرض للرجل الصالح خطوة، وأصبح في طلب تحلية مجد، وأعد للجد من تياره
سابخا وغدا علما، ومرق كالسبك في خليج من قسي قناته، وخنق الخيل لمبادات
في محاجره، وبشر أن آلاف الأموال أضعاف ما فيه من الأمواج، وخُبرت رقاعه أنه لم
يبق فيها مجتال ولا محتجاز فاكمل السنة عشر ذرعاً(13).

(12) الصوفي: أمنان العمر، ج2، ص446
(13) الصدر نفسه، ج2، ص447
وقد أورد القلقدشني أبو ابن فضل الله بعض الصدور والآداب التي يمكن أن تستخدم في الخطابات لحاكم حماة (٣٣).

وقد وجدت خطبة أوردها القلقدشني لعلة الدين بن غانم الشاعر المصري قلها باسم مظفر الدين غانم وقد صرع للفقة وأدعى بها للملك المؤيد صاحب حماة، وهي:`الحمد لله الذي ظفر بإصابة الواجب من الطريق، ووفر من السعادة حظ من أصاب ووافق الصواب، فيمن انتهى إذ تشرف به وتميز على الغير، وخفى من أسراء إلى من يحمد لديه صبيح سراة إذ يصبحه من بشره وبره كل خير` (٣٣).

ولم أجد من الخطاب غير هذه الخطبة على الرغم من وجود الكثير من الأدباء والعلماء.

المصلى: أميان العصر، ج. 2، ص. ٤٤١.
القلقدشني: صبح الأمشي، ج. ٢، ص. ٣٣٥: ابن فضل الله: التعريف، ص. ٩٤.
القلقدشني: صبح الأمشي، شرح وتعليق محمد حسن شمس الدين، ط. ١، ج. ١، من عام ١٩٨٧، ص. ٣٧٨.
لا نبالغ إذا قلنا أن أكثر ظاهرة في العصر الملوكي انتشرت في كثيرٍ من المؤلفات في كافة أصناف المعرفة من تاريخ ودبلوماسية، ودين وفلسفة، وطب وغير ذلك، حتى عرف هذا العصر بعصر المؤلفات التي جمعت فوائدها وساهمت في إحياء التراث العربي، وجعلت سلسلة الثقافة العامة في ذلك العصر موسوعة أيضاً. ومن هذه المؤلفات، نهاية الأدب التدريبي، ومسائل الأدب الفعلي وغيرها الكثير. وقد صارت هذه الثقافة الواسعة مجال التفاخر في ذلك الوقت، وكان اقتناه الكتب أيضاً يعني الكثير من عمار ذلك الزمان، وبدلاً على ذلك كثرة المكتبات الخاصة، وخصوصاً الكتب وخاصة مكتبات العلماء، والأسر المشهورة والحاكمة.

وبنتيجة لكل هذه العوامل، فقد كان النثر التأليفي في حماة هو الظاهرة البارزة أكثر من غيرها. وقد ذكرنا المؤلفات النثرية سابقاً، مثل مؤلفات ابن نباتة، والملك المؤيد، وهبة الله البارز، وغيرها.

وستحدث بالاختصار عن أثنا من هذه الكتب، أولهما كتاب ابن نباتة، مطلع الغوائد، ومجمع القراءات الذي كتبه الملك المؤيد. والثاني كتاب «المختصر في أخبار البشر» وهو أحد كتاب الملك المؤيد. وقد كتب ابن نباتة هذين من هذا الكتاب، وهو أن يهدي للكتاب كتاباً في الأدب الرفيع بحجة أن الكتاب الآخر كتبته تجمع الغث من الأدب وليكون هذا الكتاب ذكرى له عند الملك المؤيد دفريت أن أضع بل أرفع له كتاباً يُحضرني وإن غبت في ديوان السامرة الأدبية»(132). والهدف الآخر هو ليطلع المبدئي في علم الأدب عن أقوال العلماء، وبديعات الشعراء والكتابة(133).

وينقسم الكتاب إلى ثلاثة أقسام، القسم الأول منها في محاسن أقوال العلماء في تأويل المعاني المشكلة، وهو على ثلاثة فصول، الأولى منها في نبذة من حدث النبي

(134) ابن نباتة، مطلع الغوائد، ومجمع القراءات، تحقيق عمر موسى باشا، مطبوعات مجمع اللغة العربية، بدمشق، 1972، ص.4.
(135) المصدر نفسه، ص.4.
عليه السلام، والفصل الثاني في نبذة من الألفاظ العربية والمغربية، والفصل الثالث في أبيات المعاني القديمة والحديثة (131). والقسم الثاني من مبادئ الشعراء ومختروقاتهم وأبيات قصائدهم، ويشتمل على خمسة أنواع، الأول في المديح، والثاني في الأوصاف، والثالث في النسب، والرابع في المراثي، والخامس في أغراض مختلفة. والقسم الثالث في مختروقات الكتب ومتعجج رسائلهم، ويشتمل على ثلاثة أنواع: الأول في بديع المتقن عند زمن القاضي الفاضل، والثاني في كتب القاضي الفاضل، والثالث في الكتب بعد القاضي الفاضل.

واهمئية هذا الكتاب تكمن في أنه جمع فيه، قطاع الثقافة العربية الأصلية.

كما أن المؤلف عرض في هذا الكتاب بعض الآراء النقدية الهامة، مثل رأيه حول قضية تكتير أبي العلاء المري، وأهمية القسم الثالث من الكتاب وهو الخاص ببعاني الكتاب المختلفة تراجع إلى أن المؤلف حفظ لنا أجمل ما وضعه الكتب السابقون واللاحقون، ووقف عند المعاني المترتبة في التراث، وذلك يكون قد تفرّد بجمعها ودقدها دون غيره من المؤلفين. وزيادة على هذا، فإن الكتاب شاهد على عصره لأنه جزء من الكتابة في العصر المملوكي، حفظ لنا من النصوص الكثيرة والتي فقدت ولا يعثر عليها إلا في هذا الكتاب.

وقد اتسم منه المؤلف في كتابة هذا ببعض الخصائص الكتابية، مثل الشمولية والاستقصاء، فقد كان المؤلف يعرض الذاهب المختلفة، ويتقنها ويوصف كل رأي أو مذهب، ثم يعطف بعد ذلك كله عليه بأرائه، ومثال ذلك قول الإمام علي بن أبي طالب -كريم الله وجهه- لما ضربه ابن ملجم، قال: "لتها ورباً الكعبة"، حيث يذكر ابن نبيات الآراء المختلفة في هذه القصة، ويرجع بعضها وياتي برأيه، يقول: "فقال بعضهم، فزت نجوت، وهو من الفوز لأنه رأى أنه قُتل شهيداً، وعرف ما أعد الله له بذلك في الآخرة". وقال قوم: "أراد مثاً أن يتفوّق هو البطل، ومنه سميت المفازة وهي الأرض المغفرة الملهكة، وكل الوجهين متوحجة، والثالث مثل بالمغفرة، وبعض أهل اللغة يقول: "إذنما سُميت الأرض المغفرة مغفًزة على سبيل الفال لِلها ملهكة، وهو من نحو قولهم "(132)

(131) ابن نبيات، مطلع الفوات، ص. 61.
للمزيد سليم، وهذا القول ليس بشيء، لأنه إذا كان للتغويز الهيك فلا حاجة لنقل الكلام إلى غيره والاحتجاج بأنها سميّة للفال (17).

ومنذما يذكر قوله في هذا الكتاب، فإنه يورد مناسبة هذا القول إن كان له مناسبة، وهذا دليل سعة الثقافة والإطلاع من قبل ابن نباتة واستيواة المطلوب، ومثال هذا قوله: «الثر في البتر وعلى ظهر الجمل» ففي معرض تفسيره لهذا المثل أتي الكاتب بالمناسبة ووضّها (13).

ومصادر المؤلف في هذا الكتاب كثيرة، علّا أهمها دواوين الشعراء الذين ذكر من أشعارهم، ويرقد هذا عدد كبير من كتب اللغة والأدب والحديث وغيرها، وهو في الغالب ذكر اسم المصدر الذي أخذ منه، مثل قوله: قال البتر، وقال ابن الأنباري (138)، وأحياناً لا يذكر المصدر مثل قوله، وقال بعض المفسرين، وقال أهل اللغة، وقد ينقد بعض مصادره التي يأخذ عنها، ومنه ما قاله في مسألة كسب الزمامرة، فإنه يقول:

وفي كلام ابن قتيبة في هذا الحديث لفظ فيه نظر (13).

الكتاب الآخر هو المختصر في أخبار البشر، للملك المؤيد أبي الفداء صاحب حماة، والهدف من وضع هذا الكتاب كما يشير المؤيد ليكتب تذكرة تغنيه عن مراجعة الكتب المطولة (14) وهذا ليس غريباً في هذا العصر الذي اهتمّ أهله بإقتتال الكتب.

ومصادر هذا الكتاب هي مجموعة كبيرة من الكتب التاريخية، منذ بدء الخليفة حتى عهد المؤلف، ذلك أن المؤلف أراد أن يجمع من هذا العدد الكبير منها مختصراً يستفيد منه في معلومات تاريخية يعود إليها عند الحاجة. ومن هذه الكتب الكامل في التاريخ لابن الأثير، وجبريل الأم أحمد بن مسكويه، وكتاب البيان عن ابن نباتة: مطلع الغواث، من (26).

المصدر نفسه، من (14).
المصدر نفسه، من (12).
المصدر نفسه، من (12).
ابن نباتة: مطلع الغواث، من (26).
ابن الأثير: المختصر، ج1، ص3.
تاريخ سنی زمان العالی على سبيل الحجة والبرهان لابن عيسى أحمد بن علي المتنب adj
والخاطب المظفری لابن أبي الرم، وفونيات الأمیان لابن خلیکان وغيرها من كتب adv
التاريخ (141). وزيدا على هذه المصادر فإنه يعتمد على المتناهیة وعلى الروایة احیاناً
أخرى خاصة الأحداث التي عاصرها الكاتب.

ولعل أهمية كتاب أبي الغداء كانت في الفترة التي عاشها الملك الیس، والتي
أرّخ لها في كتابه، وهي الجزء المهم من كتابه إذا عرفنا أن المادة المتبقیة هي مختصر
lama ورد في كتاب أخر. بما يتضمن حاجة هذا الملك. لأن هذا المؤلف هو ذاتي وشخصی
يخدم حاجة الملك الیس، كما أنه مصدر وثائق يؤرّخ لملكة حممة وملوكها، وأحوالها
الاقتصادیة، والسياسیة، وتركيبة الاجماعیة، ومدى الحركة الثقافیة في حمامة، وهذه
جميعها وردت في الجزءين الثامن والرابع من المختصر.

ومنهج أبي الغداء في هذا الكتاب لا يختلف عن منهج ابن الاطیر في كتابه
الکامل فيما يتعلق بالخاطب الإسلامیة، حيث رتبه على السنین. أما المخاطب
الإسلامیة فلم يلائم فيها بنظام السنین. ونلاحظ في هذا الكتاب حرص أبي الغداء
على أن يكون الخاطب المذكور دقيقاً، فهو يذكر السنة، والیوم، والشهر، ويبقى هذا
في حديثه عن الأحداث التي عاصرها بالذات.

وقد أولا اهتماماً كبيراً بالعلماء في ترجمته لهم، عند ذكر الروایات في بعض
السنین، مثل ترجمته للقاضی قطب الدين محمود بن مسعود (140). كما أورد المؤلف
في هذا الكتاب عددًا كبيرًا من الشواهد الشعریة الكثیرة التي ترتبط بملوك حمامة
خاصة، وشعرائهم، ومن ترجم لهم معهم اهتمام.

ويعتمد أيضاً بضبط الكلمات، وخاصة الأسماء منها، ويحرص على ذلك حرصاً
شدیداً، ومن ذلك ما ذكره عند حديثه عن عُمر سیدنا أند، يقول: «وأنا صار لماشیل من
العمر مائة وخمس وستون سنة ولد له (بيد) بالدال المهملة، والذال المعجمة أيضاً.
ولا صار لبيرة مائة وأثنان سنة ولد له (حنوح) بحاء مهملة ونون ووا وعاء وفاء
معجمة"(134).

وعند حدوثه عن الأم البائدة، يذكر، ويفسر بعض القصص المتوازية التي
عرفت عندهم، ومنها: عمار لقمان الحكيم والقصة التي كان يتناقلها الناس، يقول:
فلما هلكت عاد كما ذكرنا بقي لقمان بالحرم، فقال له الله تعالى: اختر ولا سبيل إلى
الخلود، فقال يا رب أمعنني عمر سبعية أنس، فكان يأخذ الفرع الذكر يخرج من
البيضة حتى إذا مات أخذ غيره وكان يعيش كل نسر ثمانيين سنة، وكان اسم النسر
السابع لب في لاما مات لقمان معاً، وقد أكثر الناس والعرب في أشعارهم من
ذكر هذه الواقعة فلذلك ذكرناها"(144).

ويستعمل أبو القداء ثقافة في حديث عن سيدنا إبراهيم عليه السلام ويرجع
رأيه على غيره، يقول: "وهو إبراهيم بن تارح وهو أزر بن تاحور بن ساروغ بن رعا
بن فالح بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح وقد أسقط ذكر قينان بن
أرفخشذ وهو بالحقيقة شالح ابن قينان بن أرفخشذ فاعلم ذلك"(144).
الفصل الرابع

النشر في عهد المؤيد وابنه الأفضل

دراسة فنية
ذكرنا في الفصل الثالث أنواع النثر في عهد المؤيد وابنه الأفضل، وقد شملت الرسائل الديوانيّة والأدبية، والإخوانيّة، وبعض المؤلفات في الجغرافيا والتاريخ والأدب.

ولعل أكثر أنواع الرسائل النثرية وفرة في عهد المؤيد وابنه الأفضل، الكتابة الديوانيّة، من مصر إلى حماة، إذ عرفت هذه الكتابة عددًا من كتب الرسائل الديوانيّة، الذين كتبوا هذه الرسائل، مثل: الصفدي، وابن فضل الله العمري وغيرهم. وهذا يعطينا مدخلاً للدراسة الفنيّة، والصورة التي ستكون عليها هذه الرسائل من الدقّة والإتقان، إذا عرفنا أن هؤلاء الكتاب في زمانهم كانوا يملكون زمام الكتابة الديوانيّة، ويتقنون فيها، وقد سبقت الإشارة إلى أهمية كتاب الإنشاء وما ينصحون به من مؤهلات، لتوالي مثل هذا العمل، من معرفة أنواع العلوم، والفنون وإنغامتها. وقد اشتهرت هذه الرسائل الديوانيّة على التقليد، والمهد، والبشارة، والمرسوم، والتعزيز وغيرها مما أشار إليه المصادر ولم تذكره.

وتكون الوسيلة الديوانيّة من مقدمة، وعرض، وخاتمة. وهذه العناصر الثلاثة تشكل هيكل الرسالة الديوانيّة، الذي يختص كل جزء منه بعصور تدخل في موضوع هذه الرسالة. والمقدمة هي الجزء الأول في الرسالة الديوانيّة، ومن شروط هذه المقدمة ما أشار إليه الشهاب محمود: فناء التقاليد والتواقيع والناشير وما يتعلق بذلك، فالآحسن فيها بسط الكلام، وتعتبر كثرته وقثته بحسب الرتبة، وينبغي أن يراعي فيها أمور منها: براءة الاستهلاك بذكر الرتبة، أو الحال، أو قدر النصمة، أو لقب صاحب التقليد واسمه بحيث لا يكون المطلع أجنبيًا من هذه الأحوال، ولا بعيدًا عنها، ولا مباهنا لها، ثم يستصحب ما ينساب الغرض ويوافق المقصود من أول الخطبة.
ويلزم الكاتب لبراعة الاستهلال في الكتابة، أن تكون الألفاظ والمعاني المستعملة موافقة لفروع الرسالة. ويكون الإفتتاح إما بآية قرآنية، أو بيت من الشعر، أو بشيء من الحديث النبوي، يشير ابن الأثير إلى هذا قائلًا: "أن يكون مطلع الكتابة عليه جدة ورشاقة، فإن الكاتب من أجد المطلع والمقطع، أو يكون مبنياً على مقصد الكتاب، ولذا يُسمى باب المبادئ والافتتاحات"(١)، وتحتوي الافتتاحات على ما يوفي بالمغرض الذي كتبته فيه الرسالة. فإن كانت الرسالة للتهيئة استخدم الكاتب ألفاظاً تدل على هذا، وإن كانت للعزة كتب ما يوفي بأن الرسالة للعزة.

وحيضنا عن الافتتاحات في الرسائل الديوانية يدفعنا إلى بيان طبيعة نوع كل من هذه الرسائل، لتعرف مدى الدقة المتبعة في الألفاظ والمصطلحات التي تستخدم لكل نوع من أنواع هذه الرسائل: فالعهد مثلاً: لا تكون إلا للخلفاء أو للملوك، ولا تكون إلا عن الخلفاء أو الملوك، والتقاليد أيضاً لا تكون إلا للفلاد الملك كأكبر النواف والوزراء ومن كان في معاهم، وقد يكون لأكبر قضاء القضاء، فإما عامة القضاء، فإن الواجب أن يُسمى ما يكتب لم يُفظيهم، ومنها تواقيع وهي لعامة أواب الوظائف، ومنها مراسيم، وهي ما يكتب في صفات الأموار، التي لا تتعلق بولاية(٢).

ونرى من خلال هذا التقسيم لرتب المكتبات وتقسيمها تقنيتاً واضحاً، ويتبين هذا أن لكل منها ألفاظاً تختص بها عن غيرها، بناءً على رتبة الكاتب بها، فالكتابة مثلاً إلى الأواب الشريفة تكون بالقول: "أدام الله تعالى أيام الديوان العزيز ولا

---
(١) شهاب الدين، محمود بن سليمان الطبي (ت ٥٧٥ه)، حسن التوضيح إلى صناعة الرسول، تحقيق ودراسة أكرم عثمان يوسيف، ٣٨٨.
(٢) ابن الأثير، ضياء الدين محمد بن محمد (٥٧٣ه)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تقديم أحمد العوفي، ودبيبة طهية، القسم الأول، دار نشر مصر، القاهرة، ٣٠٠.
(٣) ابن فضيل الله العبدي، التعريف، من ١١٢٠، ١٠٣.
وقد تنوبت افتتاحات الرسائل الديوانية إلى حمامة، فنجدها أحيانًا تبدأ بالدعاء، وذلك في رسالة التحية التي بعث بها سيف الدين تنكر إلى الملك الأفضل يعزى بوفاة والده الملك المؤيد وقد كتبها الصفدي حيث يقول: «جعله الله خير خلقه».

وقد أتى البيت الأدبيStored بما ورثه من الجد المؤثر والمشرف، وسقى صوب الرحمة أمله الذي فَرع دولته الطاهرة وسلف، تقبل من صدع الهنادر قلبه ومسح كف السرور في جمال دمعه الذي يذهب مهدبه».

ومن رسالة ببشارته النيل كتبها الصفدي له وافتحّها بالدعاء يقول: «أمّر الله أنصار المقام الشريف وجعل رسل الهدى تتواجد على مقامه».

وأحيانًا أخرى تتفتح الرسالة بالتحميم، خاصة في رسائل التوثيق والمعروف، ومنها نسخة العهد الذي كتبها ابن فضل الله العمري للملك الأفضل بعد وفاة الملك المؤيد، ومنها «المحمد الذي أقرّ بنا الملك في أهلّة أهله، وتدارك مصابنا لولا ولده الأفضل لم يكن له شبيبه في فضله، ووبه بنا بيت السلطنة من أبقى البقياها ما يلحق به كل فرع بأصله».

ومنها أيضاً ما ورد في نسخة التقليد بملكة حماعة والمرّة وبارين تمليكًا للملك المؤيد سنة 1267 ه وFIRST التقليد: «الحمد لله الذي عضد الملك الشريف بعماده، وأورث الجد السعيد سعادته أجداده، وبلغ ولينا من تباهي ملوك بني الأيام غاية

ابن فضل العمري: التعريف، ص 8.
ال مصدر نفسه، ص 16.
الصفدي: أعيان العصر، ج 2، من 441، ص 444.
المصدر نفسه، ج 2، ص 348.
الفلقين: صبيح الأمشي، ج 1، من 187. 
ويستعرض ابن فضل الله العلوي افتتاحيات الرسائل الديوانية بقوله:
"ومنها مرسوم وهي ما يكتب في صفائر الأمور التي لا تتعلق بولاية، ثم المراسيم ومنها ما يستفتح بالبسمة وهو الأهم، ومنها ما لا يستفتح بها وهو ما هو أدنى". أما التقاليد فيشير إلى أنها لا تستفتح، إلا بالخطب بالحمد لله، وليس إلا والتواقيع قد تستفتح بالحمد لله، وقد تستفتح يقول أما بعد فإن، وقد تستفتح يقول إن أولى ما كان كذا، أو ما هذا معناه، وقد تستفتح يقول مرسم بال الأمير الشريف بالألقاب السلطانية الكاملة والحمد لله أكبرها«(1)».

ويؤكد ابن فضل الله أهمية التحميد في الرسالة الديوانية، فيقول: "واما ما يكتب للملوك من الملوك مثل: ولة العبود والمنفرد بسجائر البلاد فإنه لا تستفتح عهودهم إلا بالخطب، وكلما كثرت التحميدات في الخطب كان أكبر لأنها تدل على عظم قدر النهمة«(2)».

والجزء الثاني من الرسالة الديوانية، هو العرض، أو موضوع الرسالة سواء: أكان تهنئة أم تعاوية وغيرها. ويذكر قبل الإختلاف إلى موضوع الرسالة أن يتوقف الكاتب حسن الإختلاف، أو التخلص، وقد نص ابن الأثير على هذا وسمه "باب التخلص والاقتضاب«(3)»، ويكون الإختلاف من المقدمات إلى الغرض المقصود على وجهين، الأول هو ابتداء الخطاب، أي أن يبدأ الكاتب بذكر الفاظ أو عبارات تدل على ابتدائه بالخطاب، كقوله كتابي، خطابي، أما بعد، والوجه الثاني هو ما يذكر فيه الكاتب أنه يرد على كتاب المرسل إليه، كقوله، ألقى، أو ورد، أو وصل، وواضفي.

(1)
(2)
(3)

أبو الفداء: المفطر، ج.1، ص.9.
ابن الفضل العلوي: التحريف، ص.126 وما بعدها.
المدرر نفسه، ص.111.
ابن الأثير: المثل السنتر، ص.97.
وقد يحدد الكاتب تاريخ كتابة رسالته فيقول يوم كذا (13). ونجد صوراً من ذلك في
النماذج التي بين أيدينا، ففي رسالة التعزية للملك الأفضل نجد بعد المقدمة ما يلي:
"وبينهي بعد الدعا الذي أُجيب بالقبول للخلاءصة رفعه، والولا الذي لم يضق بالعبودية
ربه ولا ذرته، والشنا الذي أُحفل تفريغ الحمام في الحمايل سجعه، أن مشاهه الكريم
ورد على بد فلان، يتضمن ما قدره الله تعالى، من وفاة المقام الشريف العمادي قدس
الله روحه الكريم (14)، ومنها في بشارة بفيضان النيل كتبها الصغدي له يقول بعد
الدعاء "ونصبدي إلى العلم الكريم أنه ورد ربانا الشريف إلى محل ملكه، ومجرة فلكه،
ومجرى فلكه، فوجدنا النيل المبارك قد جعل الأرض لجعة (15)."

وفي تقليد الملك المؤيد بسلطنة حماة، نجد بعد الخطبة: "أما بعد فإن من أولى
من عقد له لواء الولاة، ونشرت باسمه أسرة الملوك ذاتى المناور، وتصرفت أحكامه
في ما يشان من نواء وأوامر، وتعلى في سماء السلطنة شمسها فقوم في دستها مقام
من سلف (16). ويبني ابن فضل الله هذا الأمر ي💕و他在 التقليد فلا تستفعت إلا
بالخطب، بالحمد لله ثم يقال بعدها أما بعد، ثم يذكر ما يمنح من حال الولاية وحال
المولي، والتقليد يقال في عنوانها (تقليد الشريف لفلان بكذا)، وأما التفاوض فهي
من هذا النمط، غير أنه لا يقال بعد الخطبة إلا: وبعد فإن، وينقول في التوافق أيضاً
"أما التوافق فهي على هذا، الأنموذج وقد يقال فيها أن يغض، وقد يقال، أن يرتب
وأن يقرر (17)."

ثم يأتي بعد ذلك الغرض، أو الموضوع الرئيس في الرسالة وقد يكون، تقليد

(13) القيسي: "باب الرسائل في الأندلس في القرن الفاسس الهجري" مركز أبحاث الرسائل، الجامعة
الأردنية، 1983، ص 212.
(14) الصغدي: "أعيان العصر"، ج 2، ص 446.
(15) المصدر: "المصادر"، ج 2، ص 447.
(16) أبو الفداء: "الفتح"، ج 2، ص 56.
(17) ابن فضل الله: "الشريف"، ص 115 وما بعدها.
بالسلطنة، أو ولاية للعهد، أو تهيئة وقريباً، ويأتي عبده الحديث عن أهمية هذه الرتبة التي وردت في الرسالة ثم بعدها بعض الوصايا للمولى ثم تختتم الرسالة بالدعاء، وقد نكرنا هذه الأقسام في الدراسة الموضوعية.

وللنظر في الرسائل الديوانيّة اختلاف صياغة الكاتب من شخص إلى آخر بحسب رتبته، فالكاتب للقاضي تختلف عنها للوالي، والكاتب للحاج تختلف عنها لقائد الجند، وغير ذلك من الصيغ الخطابية. وقد أشار بعض الباحثين إلى مدى التعقيد والتشعيب في هذه الصيغ، حتى أن الكاتب في ديوان الإنشاء يحتاج إلى معجم ضخم من هذه الصيغ يعود إليه الكتاب. ومن صور هذا التقسيم في الخطاب أنهم إذا وصفوا شخصاً بالسامي، خاطبوا من فوقه بالعالي، ومن فوقهما بالكريم، ومن فوقهم بالشريف، وألقووا بالقاب التفخيم مايو النسب مبالغة في دلالتها فقالوا في القاضي، والصدر، والرئيس، القاضي، والصدر، والرئيس، وقيداً المقرر بالشريف والجناج بالكريم، والجناج بالعالي. وبهذا اثتغلوا الألفاظ، والزمن الناس فيها بما لم يلزمهم. والشواهد على تعدّد أنواع الكتابات بحسب الرتب الخاطئة كثيرة، في صبح الأعشى، والتعريف لابن فضل الله الذي أفرد لها باباً خاصاً اسمه ورتب المكتبات. ومن أمثلة هذه الخاطبات: مكتابية إلى نائب حماة بعد الوعد الآيوبي، وهي كالتالي: «صاحب الله تعالى، نعمة الجناب العالي، العلامة، أخوه، وتعريف نائب السلطنة الشريفة بحماية الحروسة»، ومخطابة الحاجب بها كالتالي: صدرت هذه المكتبة إلى المجلس السامغي، والعلامة، الاسم، وتعريف الحاجب بحماية الحروسة.

أما رسم المكتبة للملك المؤيد، فإنّها كالتالي: «أعز الله أنصار المقام الشريف محمد عبد النعم شفاجي، البيعة الأرضية بعد سقوط بغداد، سنة 1171، الفلقشذي، بعجم الأعشى، ج. 2، من 197، المسند نفسه، ج. 3، من 197."
العالمي الملكي المؤيدي(1)، ولعلّ المبالغة في مثل هذه الخطابات، في التي دفعت الكاتب إلى وضع صيغ من الخطابات المختلفة، احتماًتًا للاستخدام في إذا دعت الحاجة إليها. كما ورد في كتاب صبيح الأمسي في الجزء السابع منه، ولعل هذه الدقة في توجيه الخطاب، ترجع إلى أحد أمرٍين، إما الزخرفة اللطيفية (كما أشار الخفاجي)، أو أن هذا يعود إلى ما تعبيز به كتاب الديوان غالبًا، من صفات أدبية وعلمية واسعة، وأن لديهم مدخراً واسعاً من الألفاظ والعبارات التي تساعدهم في الصياغة الدقيقة ذات الألفاظ الحدیدة(2). ولعلَّ ما يؤكد السبب الثاني، تلك المؤلفات الخاصة باثر الدواوين أو النثر الديواني، مثل: صبيح الأمسي في صناعة الإنشاء، وكتاب ابن فضل الله العمراني، التعريفي بالمصطلح الشريف، وحسن التوصل إلى صناعة الترسل للشهاب محمود، والملك الساير لابن الأثير.

ومن السمات الفنية للرسائل الديوانيّة، الإهتمام بعبارات التفخيم وتعظيم، وهذا يتغفق وروح العصر كما يرى محمود رزق سليم، إذ هو عصر توج فيه المبالغات والتهويل، وإتراة الجماهير، بدءًا العدالة وحماية الدين، واختيار الأكفاء، لولاية الشؤون العامة(3)، والإمثلة السابقة لصيغ الخطاب دليل على مدى المبالغة والتّفخيم.

ونجد أيضاً في هذه الرسائل الإطناه، فالمعنى المراد واضح وهو التعبين أو ولاية العهد، إلا أنّ ما يحتاج إلى بضعة أستر يستغرق صفحات. وباتي هذا الإطناه من خلال تقسيم بعض الرسائل، إلى عدة أقسام، كما في التقليد والعهد، وفي حداث الكاتب عن الوصايا للمولى، لا يكتفي بقدر معين من الصفات، بل نجد يشرف ويزيده في ذكر العديد منها، ومن هذه الرسائل التي أدى فيها الإطناه إلى طولها تقعيد الملك المؤيد الذي ذكر فيه أنه اختصر معظمه لطوله، ومن أمثلة الإطناه حديث الصفدي:

(1) محمد حسن نقيب، الأدب العربي في العصر الملكي، م.18.8، ص.174.
(2) محمد نقيب، الأدب العربي في العصر الملكي، م.18.8، ص.174.
(3) محمد رزق سليم، عصر سلطاني المماليك، ج.4، م.18.8.
عن خبر وفاة الملك المؤيد، في رسالة التعزية، التي بعث بها إليه، وينهي بعد الدعا الذي أجيب بالقبول، للخاتمة رفعه، وإلا الذي لم يضمن بالعبودية رفعه ولا نزره، والشاعر الذي أخجل تغريد الجماع في الحمائل سجع، أن مثاله الكرم ورد على يد قلاته يتضمن ما قدره الله تعالى من رفاة الشريف العمادي، قدَّس الله وجه الكريم، وسقيت توبة ضمته صوب كل ديمة. فوقف الملوك على الخبر الذي روع العباد، وبعده كل قلب كأنما يجر له على شوك الفتن، ونظر إلى النجوم كأنها، جريان سائرات في حداد، فأرسل الملوك دمعة الصب، على الحبيب الذاهب، وأخذ من قسمة الأحزان بين الأشام تصيبه الواجب، وكيف لا يعمر الوجود هذا المصاب، وتبين الدموع سحباً سحباً السحاب، وقد كُرِرت الشمس ولا تقول انقض الشهاب.(4)

ويظهر السجع في الرسائل الديوانية كشيأً، إن لم يكن عماد الرسالة الديوانية، ووجد هذا في قول الصفي في رسالة البشرة للملك الأفضل داعرّ الله أنصار المقام الشريف، وجعل عدل الفدا تتوارث على مقامه تترى، وأبهجه بكل ثمان من الخصب يتجرح له البرق حسداً، في قلب السحاب ويتذرّى (5)، ومنها في آخر التقليد الذي كان للملك المؤيد، ووالله تعالى يؤهل بالنصر مغناة، ويحمل ببقائه صورة دهر هو مغناه، والاعتدام على الخط الشريف أعلاه (6).

وقد اهتم الكاتب في هذا العصر اهتماماً كبيراً بالسجع، بل إنهم عددُو من مقاليس قدرة الكاتب على الكتابة، ويؤكد ذلك ابن الأثير بقوله: وقد ذمه بعض أصحابنا من أرباب هذه الصناعة، إلا أن ذلك وجهأ سوي عليهم أن يأتوا به، وإلا فلو كان مذموماً لما ورد في القرآن الكريم (7).

وقد شعر ابن خلدون بوطأ هذا الأسلوب فثار عليه ورأى أن الكتب قد خلطوا.

---------------------

(4) الصافي: إبائون العلم، ج، ص 441
(5) المصدر نفسه ج، ص 448
(6) أبو القداس، المتصور، ج، ص 678
(7) ابن الأثير: المختصر، ص 621
بين الشعر والشعر، من كثرة الأسماع، والالتزام التلقائي، وتقديم النسبين بين يدي الآخرين، وصار هذا المنظر إذا تأملته، من باب الشعر وفنه لم يبق، إلا في الزمان وهجروا الرسول وتناسوه، خصوصاً أهل الشروق، وما حمل عليه أهل العصر إلا استياء العجمة على ألسنتهم، وقصورهم لذلك عن إعطاء الكلام حقه في مطابقته لمقتضى الحال، فعجزوا عن الكلام المرسل لابد أمده في البلاغة، وولوا بهذا السجع يلفقون به ما نقصهم من تطبيق الكلام على المقصود، ويجيزونه بذلك القدر من التزوير بالأسماع والألقاب البديعة ويفلقون عما سوى ذلك (28).

ووجد الناس في رسائل حمامة الديوانية، ومنه في عهد الأفضل «أن يقد هذا السلطان الملك الأفضل، أمام الله بنصره من الملكة الحمورية، ولدته، وأمراتها، وأجنادها، ومرتها، وتركمانها، وأكرادها، وقضاياها وقضاياها، ورعاها، ورعاها (29) ومنه في مرسم إخراج المعرة عن حمامة عاد استقرر جميع ما نكر بيده العالية استقرار الدور في أسلاكها، والدراري في أفلاكها، يتصرف في أموالها بين العالسين بحالة وأمر، ويجري أحوالها بين المستوجبين بإعانة وبرزة (30). ومنه في تقليد الملك المؤيد "يحميد علي أنه جراح بنا الملك وحماه، وكف بكيف بأسنا المطالع، على استباقه حمامة (31)

والطبق كان من سمات هذه الرسائل حيث يبدي الكاتب براعته باستخدام المضافات، ومنه في تقليد المؤيد "من نابورها التي يذكر فيها اسم الله تعالى واسم، وكثرها وقبلها وحقيقة وجليلها (32). ومنه في توزيع الأفضل وسقي صوب (33)

ابن خلدون: مبادئه بن خلدون (808م)، المقدمة (كتاب الشعر والرومان المبتدأ، وآخر في أيام العرب، والغبر واليبرين، ومأثورهم من دواوين السلطان الأكبر) دار الفكر، ج1، ص187. القناعي: صبح الأمه، ج1، من 808.

أبو القداء: المفصل (ج1، ص187.
المصرند نفسه، ج1، ص187.
المصرند نفسه، ج2، ص187.
الصوفي: أعيان المصري، ج2، ص187.

124-
الرحمة أصله الذي فرّ عدوه الطاهرة، وسلف تقبيل من صدع الهنأ جبر قلبه،
ومسج كف السرور عامم دمعه((٣٣)).

أما الشائر بالقرآن الكريم، فإنّه يتخلص في الإقتباسات الواورة في هذه الرسائل، من أفلاط ومعاني القرآن الكريم التي استعملها الكتّاب في المكان المناسب من النص، لتحفي بالغرض منها، ويؤكد ابن الأثير على ضرورة إبراز معاني القرآن الكريم في الكتابة، بقوله: "ألا تخلو الكتاب من معنى من معاني القرآن الكريم والأخبار النبوية، فإنها معدن الفصاحة والبلاغة((٣٤)). ومن ذلك في تعزية الملك الأفضل "ركف لا يعم الوجود هذا المصائب، وتدين الدمع بسمح سما السحاب، وقد كُرِّرت الشمس") لا تقول انقض الشهاب((٣٥)). ونجد الكاتب قد ضمن بعض معاني القرآن الكريم المناسبة لغرض العزاء هنا، في قوله تعالى: "إذا الشمس كُرِّرت، وقوله تعالى "إلا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب((٣٦))، ومنه، "ويكون يوم قدومه يوم الزينة يحصر الناس ضحي، قاله تعالى يجعلها حركة مقرونة بالسعود((٣٧)), وهذا يضمن لقوله تعالى في سورة طه "قال موعدهم يوم الزينة وأن يحصر الناس ضحي، ومنه "ثمّ قلنا لكم في وله العوض ولا ينكر لكم الصبر يا الابوب((٣٨))، وقول الكاتب "وتنويه بقدر بيتكم الذي رفع لكم إسماعيل به قواعد البيت((٣٩)). وقد استغفا الكاتب من قصة سيدنا أيوب عليه السلام في قوله تعالى

المصادر:
أعيان العصر، ج.２، ص.٤٤.(٣٣)
ابن الأثير: المثل الباطر، ج.٩٩.
**(٣٤)
أعيان العصر، ج.٢، ص.٤٤، الصنابير، أية (١).
**(٣٥)
أعيان العصر، ج.٢، ص.٤٤، الصنابير، أية (٥١).
**(٣٦)
أعيان العصر، ج.٢، ص.٤٤، سورة طه، أية (٤٩).
**(٣٧)
أعيان العصر، ج.٢، ص.٤٤، سورة زخرف، أية (٩١).
**(٣٨)
المصادر نفسه، ج.٢، ص.٤٤، سورة البنعة، أية (٧٧).
**(٣٩)
إنها وجدناها صاحبةً نعم الخبز إنه أواب، وقد استمد الكاتب في رسالته عن الآية القرآنية "ورفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل"، حيث يشير إلى بناء الكعبة من قبل سيدنا إبراهيم وإبنه إسماعيل.

ويظهر في هذه الرسائل التأثر بالقرآن الكريم من خلال إيراد الألفاظ أو معاني القرآن الكريم والحديث الشريف، أو التحفيزات والتشهير، والأدبية في كل رسالة.

ولعل هذا يوجد إلى ما ذكره (عبد النوم حفاجي) سابقاً من أن المماليك كانوا يلجأون إلى إيضاح الصفة الدينية على ما يقولون ويفعلون، لكسب رضو المسلمين وإرضاء قلوبهم، لذلك نجدهم قاموا بإحياء الخلافة العباسيّة، وذلك لإيضاح الشرعية على ما يقومون به.

ويستعمل الكاتب في كتاباتهم الدينية، مصطلحات العلوم الأخرى كالصروحات الفقهية، أو الفلكية، وهذا لا يستغرب، ذلك لأنَ كاتب الإنسان يتميز بإلحانه بعدة علوم، ومن ذلك علم المفقه: "ومن تجربة إلى الشروط كأنها خراب سافرات في حداد، فإن تسلس المخلوق دمعه الصدمة على الحبيب الذاهب، وأخذ من نفسه بين الأذام نصبٌ ونصبٌ، فكلمة النصب، وكلمة الواجب هي مصطلحات فقهية، ومنها وقينا من الحزن في مشاركته أهله بالندوب (1) والمندوب لفظة فقهية.

أما الصورة الفنية في الرسائل الدينية، فقد وردت كثيراً فلا يوجد في النصوص التي بين أيدينا معنىً من المعاني، إلاّ وجسّد الكاتب في صورة فنية جاءت في غلبه، معقدة بعيدة المنال عن فهم الإنسان العادي، ومن هنا قال أحد الباحثين على أن البربر جزءاً اعتتمدا أصدقاء مدرسة الزيونا ورثوها عن الغاني الفاضل، هي إكثارهم من الخيال الشعري في كتاباتهم بحيث يجوبون بالقارئ، في فضاءات حالة، ويحلفون به على أجنحة ناعمة، فإنين الموضوع الذي يعالجونه أو يكافأه (2).

---

(1) الصوفي: أصبه العصر، ج1، ص44.
(2) الفلاشدي: صحيح الأمسي، ج1، ص87.
(3) محمد البكري: الديانة، إبْنَ النَّامِلِنَجَل، 1987، ص147 وما بعدها.
ومن أنواع الخيال في الرسائل، التشبيهات، والاستعارات والكتابات، ومن التشبيه في رسالة التعزية لملك الأفضل، يوفاة والده يصف الصفدي فيها حالة الحزن، يقول: "وقد كل قلب كاننا يُجزَّ له على شوك القتاد، ونظر إلى النجوم كأنها جرايد سفرات في حداد".

وقوله في بشاره فيضان النيل "وانعطف حول أزرار الأهرام كالعورة". ومنها، "واستكثار الجنود فإنهم حصنه المنيع في ملائاته".

والإستعارات منها "ومسح كف السرور غمام دمعه"، "والولا الذي لم يضق بالعبودية"، "ويشطظ السيف مكتحل الجفن بالرقد". ومن الكتابيات قول الكاب "وسيبقي في عقبه إن شاء الله إلى يوم القيامة"، وقول آخر "وأن كل رمع يقرع سنده ندماء".

وهو الحشد الكبير من الصور الفنية في الرسائل الدينية، يقربها كثيرا من القصائد الشعرية، بل إنها تكاد لا تختلف عنها إلا في الوزن، بل إن بعض الكتـاب كانوا شعراء مثل الصفدي، والشهاب محمود، حتى أن الكاب بيدل كل جهده لتخريج الصور معه جديدة بعيدة عن فهم القارئ العادي، ولهذا ارتباطه بما أشار إليه ابن الأثير بقوله: "أن تكون ألفاظ الكتـاب غير مخلوقة بكثرة الاستعمال، ولا أريد بذلك أن تكون ألفاظاً غريبة فإن ذلك عيب فاحش، بل أريد أن تكون الألفاظ المستعملة مسبوكة سبكاً غريباً، يظن السامع أنها غير ما في أيدي الناس".

الصفدي: أعيان العصر، ج.2، ص.441.
المصر نفسه، ج.2، ص.447.
القلطشدي: أعيان العصر، ج.1، ص.187.
الصفدي: أعيان العصر، ج.2، ص.446.
المصر نفسه، ج.2، ص.448.
القلطشدي: صبح الأعيان، ج.1، ص.187.
أبو الفداء: الخصصر، ج.1، ص.18.
الصفدي: أعيان العصر، ج.2، ص.445.
ابن الأثير: اخل العنان، ص.87.

132
والجسر الباهلي للصور الفنية يسبب التعبديد والتكلف في بعض الأحيان، وعلي هذه
القطعة تكون مثلاً لهذا التكلف في حدث: الله مولانا هذه البشرى التي صدقت الرجاء،
والمسرة التي رفعت سطورها على كافرون النصارى بعثنبر الدجاج، وما أحق هذه البشرى
 أن تهتز لها أعطاف المراي، وأن تنطق بحملها راحة الألفام بين أفواه المحارب، وأن
تُعدّ نعمة لأنِّ الرايات إذا خففت، وأن تتورد صفحات السيوف من دم الأعداء إذا
استحققت»(52).

ولعلّ نصوص الرسائل الدينية في حماوة، الختارة في هذه الدراسة تULK
نعمجة لعدد كبير من الرسائل التي لم تتمكن من الوصول إليها، إذ يقول السفاحي
في الحديث عن الملك الأفضل وكتبه إليه أجوبة كثيرة من الأمير سيف الدين منها ما
هو جواب عن مشمش كافوري أهداء في باكورة، ومنها ما هو عن رحام ملون أهداء
غير ذلك، وهي في الجزء الثاني عشر من المذكرة التي لي»(53).

وزيد على هذا فإن بعض هذه الرسائل جاء مختصرًا من الرسائل التي
درسناها، ويقول الملك المؤيد في هذا: »ورسوم أن يكتب لي التقليد بملكة حماوة
والمرارة، وبارين تمليكا ولولا خوف التطويل لأوردنا التقليد على أخرى، لكن تذكر منه
قصورًا يحصل بها الغرض طلبًا للاختصار»(54).

ونجد للرسائل الدينية جانبًا آخر، غير الخصائص الفنية والسمات العامة،
ذلك أنها سجلت لنا أمورًا تاريخية وسياسية، تتعلق بحمامة والعادات المتبعة في
الولايات، والمحام والواجبات التي يكلف بها صاحب حماوة، وحدود سلطته جغرافياً
وسياسياً. ويشير إلى هذه الأهمية الدكتور شؤفي ضيف ويوسف كيروان أن النثر
جديد في هذا العصر جموداً شديداً مما ساد في بعض جوانبه من تكلف في تحرير
معانيه ومن سجع مثقل بتصادف البديع، وخاصة في الرسائل الدينية. كل ذلك لم

السفي: أمين عثمان، ج. 2 ص. 444.
المصدر نفسه، ج. 2 ص. 444.
أبو العلاء: المختصر، ج. 3 ص. 6.
يحل بين كتّاب الدواوين وبين التعبير عن واقع الحياة السياسية تعبيراً كانوا فيه
السنة ناطقة عن أهل مصر والشام، وعن أهوائهم السياسية ومطامحهم الحربية» (1)

- رسالة السيف والقلم:

هذه الرسالة الأدبية التي أبدع فيها ابن نباتة كثيراً، كانت مجالاً واسعاً في
وغيرها من الرسائل الأدبية لمعرفة الكثير من خصائص الأشياء وخاصة المضادة
منها، ولم يكن ابن نباتة أول من كتب رسالة أدبية في الحاورية بين السيف والقلم.
فقد كتب ابن الوردي رسالة بين السيف والقلم، والفقهشندي كتب رسالة مشابهة.

وقد كان مع اعادة الأدباء أن الكاتب أو الشاعر إذا تناول مسجراً أو فكرة
وعرضها في كتاباته أو شعره، فإن غيره من الأدباء يكتب أو يقول في هذا المعنى،
لبيبين مدى تفوقه وقردته الأدبية على الكتابة والشعر، ولعل رسالة ابن نباتة كانت
من هذا القبيل، أراد فيها ابن نباتة أن يظهر تصرّفه في هذا المجال على غيره الذين
سبقوه في الكتابة، ويدفع أنه قد حقق غايته عندما شهد ابن حجة أنه أظهر وأفضل
في المغايرة بين السيف والقلم.

وقد وضع لنا ابن نباتة المفاخرة أو الحاورية بين السيف والقلم في قالب نقي
رفيع، وعلى الرغم من أن الحديث أخذ شكل الحوار، إلا أنها حملت كافة عناصر القصة
بما فيها التشويق الذي زاد في جمال هذه المفاخرة.

وكمأ عرفنا في الفصل السابق أن ابن نباتة قد كتب هذه الرسالة للملك المؤيد
صاحب حماة، وهو في شتاآها هذه الرسالة يشير إليها، وكتابي بالشاعر ابن نباتة قد
أراد أن يأتي بصورة أخرى جديدة لمدّد المؤيد، ليست شعرأ وإنما نصراً، فقد تحدث عن
صفات هذا الملك وما تميز به، وذلك على لسان القلم تارة، والسيف تارة أخرى عندما
انفقا على أن يكون الملك المؤيد هو الحكم بينهما في الخصومة، التي كانت بينهما، كما
أن فيها إشارة أخرى إلى أن هذا الملك، هو من أرباب السيف والقلم، ولذلك فقد
اجتمعا في حضوره وتحاكا لديه لمعرفة كل منهما مكانته عند هذا الملك.

(55) شمالي： مجلة الحياة، عدد 123، السنة الواحدة عشرة، شباط 1936، ص. 179.
وبدأت يكون هيكلاً في أسانس على التجاويف في الحوار بين السيف والقلم، حيث يشمل هذا التجاويف عرض كل واحد منهما لحجته تجاه الآخر. ثم تحتاج هذه الرسالة بالحكم بين السيف والقلم أن كلها للمؤد بمثابة اليد التي لا تستغني عنها.

والظاهرة الغنوية الراضحة في هذه الرسالة أن الكاتب جمع فيها ما يتعلق بالسيف والقلم من آيات قرآنية وأحاديث نبوية عن طريق الإقتصاصية تارة، أو تضمن المعنى تارة أخرى، ومن الأمثلة الكثيرة لذلك قول القلم في بداية خطبه، "بسم الله الرحمن الرحيم، ن والقلم وما يسطرون، ما أنت بتعمة ربك بمجنون" (٦٦)، وقوله "إِنَّا أَعْطَيْنَا الْكُوُثْرَ"، وقوله "إِن شاَئْنَا كُوْثْرَ" (٦٧)، وقول السيف "وأَنَزِلْنَا الْحَدِيدَ" (٦٨)، وقول السيف "ذَلِكَ تَأْوِيلَ مَا لَمْ تَسْتَطِعَنِ يُنَبِّئَنَّهُ بِلَّهٍ" (٦٩). أما تضمن معاني القرآن الكريم بمعانيها وليس بنصها، فمنها قول السيف: "وَشَهِيدُ مِرَاتِبُ الْقُرآنِ الْكَرِيمِ بِمَعانيٍّ وَلَا بِنَصِّهَا، فَمَنْ قَرَأَ السِّفِّ" (١٠٠). وقول السيف أيضاً "فَهَا الحق فشكت والباطل فذهبت جفاء" (١٠١). ومن تضمين الآحاديث النبوية ما ورد على لسان القلم من إشارات إلى آحاديث الرسول (عليه السلام)، منها: "وصلى الله على سيدنا محمد الذي قال كيف القلم بما هو كائن" (١٠٢)، وقوله "رقم في الحامات عن

(٦٦) ابن حجة: الخزانة، ج. ١، ص. ٢٣: سورة القلم، آية (٢).
(٦٧) المصدر نفسه، ج. ١، ص. ٢٣: سورة الكوثر، آية (١).
(٦٨) المصدر نفسه، ج. ١، ص. ٢٣: سورة الحديد، آية (٢٨).
(٦٩) المصدر نفسه، ج. ١، ص. ٢٣: سورة الكافر، آية (١٨).
(١٠٠) المصدر نفسه، ج. ١، ص. ٢٣: سورة الكوثر، آية (١٨).
(١٠١) المصدر نفسه، ج. ١، ص. ٢٣: سورة الكافر، آية (١٨).
(١٠٢) المصدر نفسه، ج. ١، ص. ٢٣: سورة الشفاعة، آية (١).
قد رفعت هذه الإقتباسات والتضمينات المعاني التي أرادها ابن نباتة في هذه الرسالة. ولعل الاعتماد على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية هو الأقرب لإثبات الحجة وبيان المفارقة. كما يرى ابن نباتة، ولذا فإنه في بداية رسالته جعل الاستهلاك بأبيات قرآنية كريمة، على لسان السيف والقلم، ولم يكتب ابن نباتة بإيراد الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي ذكرت السيف والقلم. بل إنه تغيّر لها المكان المناسب في هذه المفاخرة لتمديد المعنى المطلوب، وهذا شيء لا يستطيعه إلا من تمكن في الأدب ودقة الاختيار. ومن هذه المواقع غير ما سبق قول ابن نباتة على لسان الفعل "أيا المعترّ بطعن الفائز بمعنى النافض جليل النسق، الناقد بجمهوره من ظلال الفتح في السراب الذي يحسب العلماء، حتى إذا جاء لم بيده شيئاً". والكاتب هنا جعل النص القرآني جزءًا مكملًا لما أرد قوله فوجدنا سياقًا متكاملاً قد صاغه ابن نباتة، صباغة محكمة زادته جمالًا. ومن ذلك أيضاً قول الفعل "وأنا ذو النظف المكن، وأنت ممن دخل تحت قوله تعالى "أو من ينشأ في الحبل وهو في الخصام غير مبين". وذلك إشارة منه إلى أن السيف في أغلب الأوقات يكون في عمده الذي هو عادة: محلى ومزخرف، حيث أحسن ابن نباتة وصف حالة السيف من خلال الآية القرآنية الكريمة.

ووجد في هذه المفاخرة أيضًا الأسلوب الخطابي واضحاً عندما يبدأ السيف أو الفعل بالبمسلة، ثم يحمد الله، ويصلي على الرسول عليه السلام، ثم يقول المتكلم أما بعد، وينتهي كلامه بالاستغفار والدعاء أيضاً. وقد كانت هذه الرسالة مسرحاً لثغاة ابن نباتة وإشاراته التاريخية والدينية.
الفلكلية والأشكال المناسبة لمقام هذه الرسالة، ومن هذه الإشارات ما ذكره من قول
الله تعالى من معجزات النبوة نوعًا من النصر بالربع (۸۷). وهذه إشارة إلى
غزوة تبارك التي قال فيها الرسول عليه السلام: "نصرت بالربع"، ومنها إشارة
إلى أن الرسول عليه السلام قد حمل السيف وقتال به، وفيه يقول السيف: "حملت
اليد الشرسة النبوية وخصّصه على الأقلام بهذه المزية" (۸۸). كما أعادته ثقافته الفلكية
في إخراج صورة جميلة مناسبة للسيف يقول: "ينهو على الحقيقة بين الهدى
والضلال، فرق واضح، وأغاث في كل فصل فهو إما بغمده سعد الأخبيرة، وإما لحامله
سعد السعود، إما لضده، سعد الداحب (۹۱). ومن الأمثال قوله على لسان السيف
"والتحضر مني إلى الدمار، والتحترش بي فهو كما نقول العامة: "نبيه تش
ويحترس بالنار" (۹۲). وتقول "أمر ما جدع قصير أنفه" (۹۳).
أما الشقانة الشعرية لابن نبأة فإنها فلتقتضى من خلال الأبيات الشعرية التي
جاءت بعد حدث كل من السيف والقلم، حيث يخطي كل واحد منهما حدثه بشعر يؤيد
موقفه وتبنيه حجته، ومن هذه الأشعار على لسان القلم:
"قلت يغل الجيش وهو عرسمرم
والبيض ما سألت من الأغماد
كرم السيف وصولة السيف (۹۴)
وبهت له الاجاج حين نشيتها
وعلى لسان السيف:
أقر له ما أصببته
يرتشف الزرق ببشره
من شئ تلك القصيدة

(۷۷) ابن حجة: النزالم، ج ۶، ص ۲۲۱.
(۷۸) المصدر نفسه، ج ۶، ص ۲۲۲.
(۷۹) المصدر نفسه، ج ۶، ص ۲۳۳.
(۸۰) المصدر نفسه، ج ۶، ص ۲۳۷.
(۸۱) المصدر نفسه، ج ۶، ص ۲۴۳.
(۸۲) المصدر نفسه، ج ۶، ص ۲۳۵.
يا قلماً يرتع في المتنج الموجي ذنبيه
ما أعريف السكينين إلا كاتباً ذا مترقب

ووردت الأنواع البديعية في هذه الرسالة بكثرة، ولعل أكثرها وضوحًا هما الطبق، والسجع، فقد خدم الطبق الغرض الأساسي من هذه الرسالة، وهو المقارنة بين السيف والقلم، فجاء الطبق معبّراً عن هذه المقارنة حيث ساعد في إبراز التضاد في المعاني، ومن أمثلة الطبق الكثيرة على لسان القلم: أتفاخرني وأنا للوحل وانت للقطع، وأنا للعمارة، وأنا للصحل، أنت للضراب، وأنا للإعمارة، وانت للخرباب، وأنا للعمر وأنا الدمر.(74). وعلى لسان السيف: «وانت السوقي، وأنا الملك، وأنا الصادق وأنا مؤتفيك، وأنا لصون الحطام، وأنا لصون الممالك وأنا لحفظ المزروع وأنا لحفظ المسالك، وأنا للفلاح، وأنا حافظ الليل من نفسه، وأنا ساري الصباح، وأنا الباصر وأنا الأرد، وأنا الخدوم الأبيض، وأنا الخادم الأسود.(75).»

أما السجع فقد شمل جميع نواحي الرسالة، ما أكسبها وقعاً وجرساً جميل، يشمل الكلام بنساس متتابعاً، وهذا الأمر ليس سهلاً إلا أن ابن نباثة قد فعل هذا بقدرة ونجاح، ومنه: «فمثلك ذلك وثب السيف على قده، ركاد العضب بخريجه من حده، وقال أيها IA انتظاراً على قصره، والناشي على طريق غرزه»(76)، ومنه: «أيها المتلهٌب في قدمه، والخائج عمماً نسب إليه من صفحة، ما هذه الزيادة في الساب، والتطفيف في كيل الجواب»(77).
ومن النورية في هذه الرسالة والتي اشتهر بها ابن نباتة، قول القلم "والمنفق في تعمير دواوينها ومحصول أبنانها، والاحترام لدورها الشاق على عينه ورأسه"(٣٦).

فقد ورى الكاتب هنا فائدة القريب هو أن القلم بكت برأسه وعينه وهي مكان خروج الحبر منه، والمدن البعيد هو القول الشائع (على العين والرأس) الذي يقوله الشخص عندما يرغب في القيام بعمل من رضي وطاعة.

ومن الجناس أيضاً كان هناك مواقع كثيرة منها على لسان القلم "الحمد لله الذي علم بالقلم، وشرف بالقسم، وخط به ما قدقر وتسم"(٣٢١)، يقول "هذا وهو لسان الملوك الخاطب، ورسيلها لأبكار الفتح والخاطب"(٣٤١)، وقول السيف "به أظهر الله الإسلام وقد جمع خفاء، وعلى شخص الدين الحنيفي ود جمع جفاء"(٣٥٢).

أما الخيال في هذه الرسالة فإنها كلها قد بنيت على الخيال، فهذه المخافة هي من خيال ابن نباتة الذي نسجها وأخرجها بهذا الشكل، ومن مناصر الخيال فيها التشبيهات والاستعارات والكتابات، وهذه كلها ساهمت في خلق صور جميلة ناظقة شكلت أجزاءً في هذه الرسالة.

ومن التشبيهات على لسان السيف دك اتخذ من جسد طرساً، وكتب عليه حرفًا لا ينسى"(٣٦١)، يقول القلم "والسود الناصر فكانت هو لعين الدهر إنسان"(٣١٢).

ومن التشبيهات الجميلة، قول القلم "أبعث جمال السطور فنانسي دالات وأورماً ألفات، واللامات لامات، والهمزات كواص الطير التي تنبع الجحافل، والأثرية

وهكذا نجد هذه الرسالة القائمة على المقابلة بين القلم والسيف من حيث أهميتها في أحداث الدول وتغيير هذه الأحداث، وصفات كل منهما الدقيقة حتى أن التصوير والتجميد، من خلال التشبيهات والإستعارات يجعل القارئ يشعر أن

\[\text{المصدر نفسه، ج.1، ص.236.}\]
\[\text{المصدر نفسه، ج.1، ص.224.}\]
\[\text{المصدر نفسه، ج.1، ص.210.}\]
\[\text{المصدر نفسه، ج.1، ص.232.}\]
\[\text{المصدر نفسه، ج.1، ص.233.}\]
\[\text{المصدر نفسه، ج.1، ص.224.}\]

-135-
هناك شخصين، وليس أداة من آلات يستعملها الإنسان، وقد كان للسجع والطباق، والمقابلة أمسيتها في وضح المقارنة بين القلم والصباح، وتعد هذه الرسالة سجلاً تمامًا لكل ما يتعلق بالعلم والسيف. عرض من خلالها ابن نبأة معلوماته الواسعة حول هاتين الآدابين. وشكّل في سعيه في هذه الرسالة بين النور والوسف، والحوار والتشخيص والتشجيع، كما أن هذه الرسالة كانت صورة واضحة للفنون البديعية وانتشارها في ذلك العصر وقد زخرت الرسالة بعدم من هذه الفنون البديعية.

وأما الرسائل الإخوانيّة فهي في الاستبلاّل لا تختلف كثيراً عن الرسائل الديوانية فقد تفتتح ببابين من الشعر في معنى الرسالة، وقد تفتتح الإخوانية بالدعاء للمخاطب، وذلك غالبًا عليه، وقد تفتتح بتقبيل الأرض أو ليد(2).

وقد انتهى ابن الوردي رسالة إلى ابن البارز في التعريج، بعبارة: "ويني أنه بلغ المعلوم(3)، وأما الرسالة الثانية فهي تيمنة تابعة الذي تولى نظر المال بحماة، فقد افتتحها ببابين شعريّة مناسبة لغرضه:

"يقل الأرض مسولاً قانصلاً،
ومستكن الحبّ منه ظاهر
باجرة حمى (حماة) استوطنوا
طريق إلىكم حيث كنت تأشر(4)"

وما ظهر من خصائص في الديوانية نجده في الرسائل الإخوانيّة، فنجد السجع في قول ابن الوردي: "انهداء الطود الشامخ، وزوال الجبل البازح(5)، والجنس ظهر في هاتين الرسائلين (وأولى من قبّل هذا الفادح
cالقاح، بالرضى وسلم إلى الله فيما مضى(6)).

(16) خالد جبر: الرسالة الفنية في العصر المثلوي.
(17) ابن الوردي: الكفرون، ص 12.
(18) آنسعد نفسه، ص 188.
(19) المصور نفسه، ص 12.
(20) المصور نفسه، ص 1.
وضاع في العصر الملوكى المزج بين الشعر والنثر في الرسائل، لهذا تجد ابن الوردي في الرسائلين قد جعل فيها قدراً كبيراً من الشعر خاصاً رسالة التعبئة في هيئة الله البارزى التي فيها مثيقية طويلة منها:

ويرمي أن بيتكم يضـسسـسـمُ
وبيعد عنكم القاسي الإمامُ
سراج في العلوم أضاء دهـسـاً
on الدنبا ليغييته ظــلـلـمُ
تعلطت الكارم والعبالي ~
وتآلم وارت Fou الطغـسـمُ

عجبت لفكرتي سمحت بنظوم
أبشدني على شيخي نظامُ (94)

وقد ورئا ابن الوردى في رسالته فهيئة التعبئة بقوله: «الذي بكته السماء والأرض»، وقابلته فيه الكروش بالندب، حيث أن كلمة الندب في معناها القريب هو البكاء، ومعناها البعيد هي المصطلح الفقهى، وقوله: «والآلفام تشي على الرؤوس لفترة» (98)، فالمعنى القريب أن الأمنى حزينة، والمعنى الحقيقى البعيد هو أن الألفام حقيقة تكتب برؤسها.

أما التمضين، فقد استخدمه الكاتب عندما ضنن عجز بيت الأعشى في رسالة التعبئة "كما شرقت صدر القناة من الدم" (99).

والإقتباس من خصائص الرسائل الإخوانية، فهو يشكل جانباً من جوانب ثقافة الكاتب الدينية، ومنهاء قد جعل تك ثكت سرية» (100)، "ولما عجزنا منك بثائل» (101).

_________________________

ابن الوردى: الندوان، ص 100.
الصدر نفسه، ص 101.
الصدر نفسه، ص 102.
(94) كما شرقت صدر القناة من الدم (الخاشية: المصدر السابق نفسه).
(98) المصدر نفسه، ص 178: سورة معين، آية (23).
(99) المصدر نفسه، ص 178: سورة بس، آية (14).
(100) ابن الوردى: الندوان، ص 102.
(101) 137
ربما أن ابن الوردي صاحب ثقافة فقهية وأخذ للمشتغلين بالعلوم، فإننا نجد هذا في كتابه، فهو يكثر من استخدام المصطلحات الفقهية مثل المكره، الندب، الغرض، الواارد، الصادر العام، الخاص، صلاة الغائب (١٠٠). ويدكر أيضاً اسماء كتب مثل توضيح التوسيع، وهو كتاب للصفدي، ويدكر ابن مقاتل، ومن الزجل وقد كان مشهراً به في حماة (١٠٢).

وقد أطلق الكاتب لخياله العنان في رسم الصور الفنية المغبرة كما يريد بالكتابة، كقوله "وتم سرور أم الحسن بالحسن (١٠١) حيث كتبت بأم الحسن من حماة.

وقوله في الاستعارة "وبكتر السماء والأرض" (١٠٠).

أما الشاعر، فلا شك أنها صادقة، فالرسالة الأولى إلى معلم، والثانية إلى صديقه، لكن استخدام المسننات أدت إلى ضعف هذه العاطفة وخروجها عن صفاتها.

ولعلنا إذا عرفنا أن هذه الزخرفة في هذا العصر أصبحت تقليداً عند الكاتب أن نعذر الكاتب.

أما الكتب والمؤلفات التي اختبرنا منها الكتابين المشهورين المختصر في أخبار البشر، ومطلع الغوام لابن نباتة، وقد وقع الاختيار على هذين الكتابين لشهرتهما حيث عرف المؤيد بصاحب المختصر، كما أن كتاب مطلع الغوام من الجامع الأدبي الذي أورد فيها ابن نباتة الكثير من الأبواب الأدبية.

وهو النوع من النثر وهو النثر التأليفي، وخاصة ما يتعلق به بالأمور العلمية كالفلسفة والطب والصيدلة والتاريخ له خصائص في أغلبها تختلف عن النثر الفني، ولعل الصفة الأولى مثل هذا النثر هو الإيقاع عن اصطناع فنون البديع، والإتجاه نحو السرد المباشر، ومن أمثلة ذلك في المختصر حديث المؤيد من قتل

ابن الوردي: الديوان، س١٠٠، (١٠٠)
المصرد نفسه، س١٨٨، (١٠٠)
ال_TV_د_م_س_١٧٣، (١٠٣)
المصرد نفسه، س١٧٣، (١٠٤)
المصرد نفسه، س١٠٤، (١٠٥)
يكون هذا الأسلوب بالوصف وخاصة الأحداث التي عاصرها الكاتب، وهذا كثير في الجزء الرابع من الختام مثل وصف المؤيد لسيروه إلى مصر (١٠٨)، وحديثه عن مسير الفتر إلى الشام عام ١٧٢٠ (١٠٦). وقد وصف ابن نباتة بعض أنواع النيران في حديثه عن الألفاظ الغريبة (١١١)، ونجد أسلوب ابن نباتة في كتابه (مطلع الغواند) بعيداً عن أسلوبه في رسالته الأنبياء، في السيف والقلم التي درسناها سابقاً، والتي كانت زاخرة بالصنعة البديعية. ونجد الانتقائية أيضاً في كتاب مطلع الغواند ومجمع الفرائض، وخاصة القسم الخاص بـ«بمثادات الكتب ومختصراتهم ومعجز رسائلهم» وفي الختام نجد النزعة الدينية واضحة، عند المؤيد مثل قوله «العساكر الإسلامية» حيث يكرر مثل هذا القول في كتابه الختام.

كما أن الكاتب في النثر التأليفي يقدم لكتابه بمقدمة يبين فيها الهدف من هذا الكتاب، وهذا ما فعله أبو الغفدا، وابن نباتة في مقدمة كل منهما، ولو نظرنا إلى مقدمة كتاب ابن نباتة لوجدنانا بينهما وبين لغة الكتاب اختلافاً وافراً حيث ظهرت فيها الحسنات البديعية والزخرفة اللطيفة. وهذا هو أسلوب ابن نباتة، ومثال ذلك وكتبت معه إلى أبيه الكريمة وجه أمه، ونظم على أجايده عبماتها عقود قبله، وسافر بهذه الصناعة إليه»(١١١).

ولا يكتفي ابن نباتة في كتابه بسرد المعلومات بل إنه أحياناً يتدخل في ذلك فيبع ويبين ومن هذا في حديثه عن بيت المنتبي:

١١٦٦
(١٠٦)
(١٠٧)
(١٠٨)
(١٠٩)
(١٠) 
(١١)
فيا لك ليلاً على أفْكَعْكَنْ... أحمد البلاد خفي الصَّنوِّي.

إذ يقول في كلمة (الصَّنوُّي) "جمع ضوء، وهي حجارة تنصب في الطرق ليبتعد بها.

وفي الحديث، "إن للإسلام صنوى" ومنارة كمنار الطريق، ويشمل أن يكون البصري

أراد هذه الصنوى وأضافها إلى الليل، وأراد بها النجوم، وأجرى ذلك مجرى الاستعارة

من حيث أنها تهدى كما تهدي الصنوى" (١١٢) .

(١١٢) ابن نباتة: مطلع الغوائد وجمع الخرائط، من٤١ -١٤٠٤-
الخاتمة:

تناولت هذه الدراسة الشعر والنثر في حماة في عهد المؤيد وابنه الأفضل لفترة بلغت ثلاثين عامًا، عبرت فيها عن اهتمام المؤيد وابنه الأفضل بالآداب والعلوم سيرةً على نهج من سبقهم من الأسرة الإيوبية.

وقد كان الدافع لهذا البحث بالدرجة الأولى توسيع اهتمام الحكام في العصر المملوكي بالثقافة والآداب، وهذا له جانب آخر فهو محاولة لدفع ما رميت به هذا العصر بأنه عصر انحطاط وتخلف، ذلك أن لكل عصر معطياته التي يرتبط بها ولا يمكن أن نخلق صورة مماثلة للأدب في عصر ما، في عصر آخر غيره، لاختلاف طبائع البشر وثقافتهم.

ولعل الأدب في حماة ساهم في رسم صورة المؤيد وابنه الأفضل وإن بغل في بعض الأحيان، إلا أننا أتفقنا منه بأن كانت الصورة العامة للمؤيد وابنه هي سيطرة الروح العلمية لديهما، مما جعل ابن نباتة المصري يعبر عن إعجابه بها شعراً.

وكشف النثر وبيخامت الزسائط الديوانية عن عناية أهل ذلك العصر بالكلام ومحتوياته. ودقته، والاهتمام بالخيال والحيوات، وأظهرت أننا جننا من المكانة الخاصة التي حظي بها ملوك حماة من الحكام المملوكي في ذلك الوقت، من خلال استماعات صاحب حماة، وصيغة مخاطبته التي بديهته مشابهة لجميع حكام الولايات، ولعل رسالة السيف والقلم التي كتبها ابن نباتة تعد نموذجاً قادماً لما يراه ابن نباتة في شخص المؤيد فوضع إلى جانب ذلك كتاباته الأخرى مثل، مطلع الفوايد، وسرح المتنبي، رصع المطرح لما رأه من تقدير لأعماله الأدبية من قبل المؤيد.

وصور الشعراء في شعرهم حماة، وجمال طباعتهم ونعويتهم، ونهراً الذي تغذى به كثيراً واستخداموه في تشبيهاتهم من خلال قصائد الطرد، وتحدثوا عن حيواناتهم وطيورها، وجمال الصيد فيها.

وأما لغة الشعر في عهد المؤيد وابنه فنبثتها فضاحة وجزالة وتسودها روح التقليد، ولم يؤثر في لغة الشعر ما كان يقال من أزبال ابن مقاتلين التي لم تكن تخلو من الدعاية.

ومن الجوانب التي اعتنت بها هذه الدراسة الصورة الأدبية للمؤيد، فقد كان شاعراً، إلا أن هذا الشعر لم يصل إلينا كاملاً، وما وصل منه دل على قدرة المؤيد الشعرية، حتى أنه
نظم الموشحات بعد أن قال الشعر التقليدي، وكان يخترع الأوزان ويطلب من شعرائه القول فيها.

وفي أسلوب الشعر والشعر لا تستطيع أن تقول أن حماة التي هي جزء من مملكة واسعة في العصر الموالكي قد استقلت بفنيتها الشعرية والنشري وانفصلت، وانتجب شيئاً لم يكن موجوداً، إذ أن الشعراء والأدباء في ذلك العصر كانوا ينتقلون من مكان إلى آخر وكان الإتصال بينهم دائماً، وبدلنا على ذلك كثرة الرسائل الإخوانية النثرية والشعرية في مسائل كثيرة مثل الإجازات الأدبية، وطلب الكتب، وبالتالي فإن سمة الأدب في حماة هي سمة الأدب في هذا العصر شعره ونشره فيه الجزيل الجيد، وفيه السهل.

وعلى أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة هي:

- إن ازدهار حركة الأدب في حماة في النصف الأول من القرن الثامن الهجري يعود إلى تشجيع حكام حماة آنذاك للأدباء وعرابتهم لهم.

- إن الأدب الذي ظهر في حماة عبر عن هذه المدينة وبين مكانيته الخاصة المميزة وبخاصة الرسائل الديوانية.

- إن هذه الرسالة كشفت الجانب الأدبي في شخصية المؤيد ملك حماة.
قائمة المصادر والمراجع
قائمة المصادر والمراجع

المصادر المخطوطة:
1. الصقلي (صلاح الدين خليل بن أبيك الصقلي، ت٨٧٨هـ): أعيان العصر وأعيان
النصر، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية،
فرانكفورت، ألمانيا، بصدرها قهار سركين، نسخة مخطوطة مصورة
عن مجموعة عاطف أفندي، موجودة في مكتبة جامعة مئوية، قسم
المخطوطات والجماعات الخاصة.
2. الخليlesi (عبد الغني بن إسماعيل، ت١٤٥٢هـ): الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى
بلاد الشام، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، (د.ت).

المصادر المطبوعة:
1. الأشيشي (شهاب الدين محمد بن أحمد، ت٨٨٠هـ): المستطوف في كل فن
مستطوف، دار مكتبة الحياة، إشراف المكتب العالمي للبحوث، طبعة
جديدة، ١٩٨٢.
2. ابن الأثير (ضياء الدين محمد بن محمد بن عبد الكريم، ت٧٣٧هـ): النبات السائر
في أدب الكتب والشاعر، ق.١، قدّم أحمد الحوفي، ودري طباعة، دار
نهضة مصر، القاهرة، (د.ت).
3. الأسوئي (جمال الدين عبد الرحمي، ت٧٧٢هـ): طبقات الشافعية، تحقيق عبدالله
الجيبور، بغداد، مطبعة الإرشاد، ط١، ج١، (د.ت).
4. ابن بطوطا (محمد بن عبد الله بن إبراهيم الطنجي، ت٧٩٨هـ): تحفة النظر في
غرائب الأمصص ومجابح الأسفا، شروحه وكتاب قواضه طلال حرب،
دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٧.
5. ابن تغرير البري (أبو الحسن، يوسف جمال الدين، ت٧٧٤هـ).
6. المنهل الصافي والمستوفي بعد الواقي، تحقيق محمد أمين، الهيئة
١٤٣١هـ.
النجم الزاهري في ملوك مصر والقاهرة، طبعة مصورة عن دار الكتب المصرية.


- ابن حجة (تقي الدين، أبو بكر ابن حجة الحموي، 727هـ): خزانة الأدب، شرح عصام شعيب، دار ومكتبة البلاغ، بيروت، ط.

- ثمرات الأوراق فيما طاب من كثاف الأدب وراق، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، مكتبة الخانجي، 1971.

- حازم القرطاجني (أبو الحسن، 784هـ): منهج البلغاء، وسراج الأدباء، تحقيق محمد الجيبين بن الفوحة، تونس، 1966.

- الحلبى (شهاب الدين محمود بن سليمان بن فهد، 725هـ): حسن التوصل إلى صناعة الترسل، تحقيق ودراسة أكرم عثمان يوسف، بغداد، دار الرشيد، 1980.

- الخلي (صفي الدين، عبد العزيز بن سريان، 762هـ): الديوان، دار صادر، بيروت، (ت).

- العاطل الجاني والم琉ض الغالي، تحقيق ولهلم هربنام، ط فرانز شتانيتس، فيسبان، المانيا، (ت).

- الحموي (شهاب الدين ياقوت بن عبد الله، 1766هـ): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1979.

- الحنيلي (أحمد بن إبراهيم، 787هـ): شفاء القلوب في المناقش بين أبيوب.
تحقيق ناظم رشيد، وزارة الثقافة والفنون، العراق، سلسلة كتب التراث، 1978.


55- الزيتوني (خير الدين الزيتوني، ت 1376هـ): الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط 2، 1984.

56- ابن سناء الملك (القاضي أبو القاسم هبة الله بن جعفر، ت 816هـ): دار الطراز في عمل الموشحات، تحقيق جودة الركابي، دار الفكر، دمشق، ط 2، 1998.

17- الشوشكاني (محمد بن علي الشوشكاني، ت 1250هـ): البدار انطلالة بمحاصر من بعد القرن السابع، دار المعارفة، بيروت، لبنان.

18- الصمدي (صلاح الدين خليل بن أبيك الصمدي، ت 767هـ): الوافي بالوفيات، باعتناء هلموت ريزر، يطلب من دار النشر، فرانز شتايتز، بفاس، 1922.


20- العسلاني (أحمد بن حجر العسلاني، ت 532هـ): الدور الكامنة في أعيان المئة الثامنة، تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، مصر، ط 2، 1966.

21- العماد الأصفهاني (محمد بن محمد بن حامد، 697ـ): خريطة العصر وجريدة العصر، بداية قسم شعراء الشام، تحقيق شكري فيصل، مطبعة الهاشمية، دمشق، (د.م).

22- ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحكيم بن العماد، ت 189ـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب المكتبة التجاري للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
22 - عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
24 - أبو الفداء، (عمر الدين إسماعيل علي، ت 726 هـ): تقويم البلدان، تحقيق جيروم شوارتز، بيروت.
25 - ديوان، دار صادر، بيروت.
4 - الختام في أخبار البشر، مكتبةolta، القاهرة.
47 - ابن قاضي شهبة، (نقي الدين أبو بكر أحمد بن محمد، ت 851 هـ): طبقات الشافعية، اعتني بتصحيحه عبد الاعين خان، حيدر أباد، ط 1، ص 2.
57 - الفقيه، (جلال الدين، أبو عباس محمد، ت 772 هـ): الأيضاح في علوم البلاغة والبيان والمعاني والبديع.
63 - ابن كثير (الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير، ت 774 هـ): البداية والنهاية، دار الفكر، بيروت.
61 - ابن المعتز، (عبد الله بن المعتز، ت 996 هـ): البديع، نشر وتعليم أغناطيوس كريتشنسكي، دار الحكمة، دمشق.
63 - ابن نباتة (جمال الدين محمد بن محمد الفارقي، ت 788 هـ): الديوان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
146 -
المراجع الحديثة:


2. أنيس (إبراهيم أنيس): موسوعة الشعر، مكتبة الأندلس المصرية، ط. 2، 1965.


5. باشا (عمر موسى باشا):
   - ابن نباتة أمير الشعراء الشرق، دار المعارف، 1969.
   - محاضرات في الأدب الملكي والعثماني، دمشق، مطبعة الإحسان، 1980.


7. بكاز (يوسف بكاز): بناء القصيدة في النقد العربي القديم، في ضوء النقد الحديث، ط. 2، 1982.
- زكريا (أحمد زكريا): جولة آززية في بعض البلاد الشامية. دار الفكر، سوريا، ط 2، 1984.
- الزيات (أحمد حسن الزيات): تاريخ أداب الله العربي، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة.
- زيدان (جورجي زيدان): تاريخ أداب اللغة العربية، منشورات دار مكتبة الحياة، 198-.
بيروت، لبنان، 1982.

20- سباثو (أحمد غسان سباثو): مملكة حمالة الأبوية، دار قتيبة، دمشق، (د.ت).

21- سلام (محمد زغلول سلام)
   - الأدب في العصر الأيوبي، دار المعارف.
   - الأدب في العصر المملوكي، دار المعارف، 1979.

22- سليم (محمود رزق سليم): عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي، المطبعة التوفيقية، مكتبة الأدب، (د.ت).


24- صيف (خالد صيف): عصر الدول والإمارات، قسم مصر والشام، دار المعارف، ط 2، 1984.


29- الفاعوري (حنا الفاعوري): تاريخ الأدب العربي، المكتبة البوليسية، ط 2، بيروت، (د.ت).


22- الكغرواي (محمد عبد العزيز الكغرواي): تاريخ الشعر العربي، دار النهضة، القاهرة، (د.ت).


24- هدارة (محمد مصطفى هدارة): اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري، دار المعارف، الإسكندرية، 1981.


- الحركة الشعرية زمن المماليك في حلب الشهباء، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1986.


- الرسائل الجامعية:

1- جبر (خالد جبر)، الرسالة الفنية في العصر المملوكي الأول بحمودة، رسالة ماجستير، إشراف عبدالله عبدالمجيد، الجامعة الأردنية.

- حمودة ( زياد حمودة)، مملكة حمودة في العهد الأولي والموكلي الأول، مركز إبداع الرسائل، الجامعة الأردنية.

- زايد (محسن زايد)، النشر الفني في عهدي الدولتين الزنوكية والأيوبي، في مصر والشام، رسالة دكتوراة، إشراف محمود إبراهيم، 1992.

- السامرائي (أحمد طه السامرائي)، اتجاهات الكتابة التاريخية في بلاد الشام في القرن الثاني الهجري، رسالة مقدمة في الجامعة.

- 15-
المستنصرية، 1988.

* القيسي (فايز القيسي)، أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، مركز إبداع الرسائل، الجامعة الأردنية، 1986.

 المواسمات، والدوريات، والمعاجم:

1- دائرة المعارف الإسلامية، أحمد الشنتاوي، دار الفكر، وزارة المعارف، لبنان العربي، ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، تعداد 716، دار صادر، بيروت.

2- مجلة الحواريات السورية، مقال عبد الحلايب بزغوية، تاريخ حماة، العدد 16، 1966.

3- مجلة المجلة، عدد 122، السنة الحادية عشرة، شباط، 1967، (مقال الدكتور شوقي ضيف، عصر إحياء التراث).

4- المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس، عبد الحليم منتصر، القاهرة، ط 2، 1972.

5- المعجم المفهرس للفظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، ط 2، 1981.

6- مهرجان أبي الغداء، المجالس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، سوريا، 1974، وذلك بمناسبة مرور سبعمائة عام على ولادة أبي الغداء.
المحتويات

رقم الصفحة
(1-ج)

- مقدمة

(4-1)

- تمهيد:
  أ- حماة، تاريخياً، جغرافياً، ثقافياً
  ب- تعريف بأبي الندى وابنه الأفضل

الفصل الأول: الشعر في ظل الملك المؤيد وابنه الأفضل

(37-61)

- دراسة موضوعية
  أ- المهج
  ب- الرثاء
  ج- الغزل
  د- التهنئة
  إ- الإخوانيات
  ب- الطرديات

الفصل الثاني: الشعر في ظل الملك المؤيد وابنه الأفضل

(73-102)

- دراسة فنية
  أ- بناء القصيدة
  ب- الصورة الفنية
  ج- الصورة البديعية
  د- لغة الشعر
  ه- القافية والأوزان الشعرية
الفصل الثالث: النثر في عهد الملك المؤيد وابنه الأفضل

دراسة موضوعية

- الرسائل الإخوانية
- الرسائل الأدبية
- الرسائل الدينوانية
- رسال التقليد
- المهود
- المراسم
- رسائل انتزاز
- البشارات
- النثر التاليفي

الفصل الرابع: النثر في عهد الملك المؤيد وابنه الأفضل

(166-227هـ) - دراسة نشبة

(141-142) الانتهاء

قائمة المصادر والمراجع

المحتويات

- 105-